دعني أحاول

أحمد فريد

الناشر
دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع (القاهرة)
عبده غريب

الكتـــــاب : " دعنى أحاول "

المؤلــــف : أحمد فريد محمود

تاريخ النشر : ١٩٩٩م

الناشـــــر : دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع

عبده غريب

شركة مساهمة مصرية

الإدارة : ٥٨ شارع الحجاز – عمارة برج آمون

الدور الأول – شقة ٦

ف : ٢٤٧٤٠٣٨ ت : ٢٤٦٢٥٦٢

التـــوزيـــع : ١٠ شارع كامل صدقى الفجالة (القاهرة)

ت : ٥٩١٧٥٣٢ ص. ب : ١٢٢ (الفجالة)

المركز الرئيسى : مدينة العاشر من رمضان

المنطقة الصناعية (C1)

ت: ٠١٥/٣٦٢٧٢٧

رقـم الإيـــداع : ٩٩/٢٦٦١

الترقيـم الدولـى : ISBN

977- 303 - 095 -4



إهـــداء ....

ما أصعب أن تكون الخطوات ... بلا طريق

أحمد فريد

عادت وفاء ..

وهى لا تعلم أن الايام كانت تخفى لها أحداث قاهرة..

تتجاذبها خطوات حنين بعد غيبة عن أسرتها واقرانها دامت أكثر من عام ... رجفات خوف تسيطر على مشاعرها وكيانها الذى لم يتجاوز السبع عشر ربيعا.. ولكنه ربيع ذابل.. هاجمه وباء فأتى غلى رونقه.. وسمم مناخه .. تماما كما حدث لها.. لم تكن تتوقع لحظة واحدة أن الاقدار تتربص بأيامها وتحث زوجها عصام لكى يقدم على تلك الخطوة .. ويمزق بعدها شرايين الأمل فى عمرها وعمر الحب العظيم الذى تبنتة فى قلبها الصغير. ولم يشفع لها موقفها معه.. بل لم تكفه كل المواقف..

فها هو عصام الذى تصدت لأهلها من أجله .. وتزوجته رغما عنهم جميعا .. واستباحت لنفسها حق القرار، ضاربه بكل الرغبات.. غير مبالية بأعظم التهديدات..

تركت كل شىء خلفها .. وراحت تستكين إلى العش الهادىء.. المحاصر بقضبان الغيرة والظنون.. فمنذ الليلة الأولى اكتشفت أن جمالها الذى كان اقصوصته المفضلة على كل الأقاصيص.. بات بلاء ترغب فى التخلص منه...

وهى جميلة... رائعة الجمال..

عيناها بلون النيل.. لها بريق القمر فى ليال الصيف .. شعرها تتنافس خصلاته فى دلال.. وثقة.. ويستقر بعضا منه فوق جبينها المشرق. يكاد يلامس أطراف حاجبيها الفرعونيتين..فمها هلالى الشفاه.. بشرتها بيضاء تميل إلى الحمرة.. قوامها ممشوق يميل إلى الامتلاء.. ولكنها ارتضت منذ البداية بذلك الحصار المثير.. بل واستعذبته.. فهى قد احبته.. أحبته بكل جوانحها.. وعشقت رجولته.. لم تتذمر يوما من صفعاته المتتالية فى كل مناسبة يخيل له فيها أن هناك من أستباح لعينيه أن يراها.. وأرتضت تناقضاته الغريبة.. يوم طلب منها الخروج إلى العمل.. أى عمل. وتنقلت من مكان إلى آخر حسب رغباته ورضوخا لارادته.. بائعة فى محل تجارى.. عاملة فى أحد استوديوهات التصوير.. مشرفه فى دار حضانة.. إلى أن أعتادت على تلك الحياة، وفى تصورها أن الحياة قد ابتسمت لها وذفت اليها عصام . كما اعتادت على قبضات الغيرة فى استسلام.. وعلى تلبية حقوقه الزوجية فى رضاء تام.. واثار أصابع كفه واضحه البصمات على وجهها.. وجسدها كله.

استطاع عصام أن يقهر فى نفسها الاحساس بالذات.. حتى أنها لم تلحظ يوما فقدانه لكيانه أمام أخيه الأكبر الذى تولى رعايته بعد وفاة والديه فى حادث مفاجيء منذ عشر سنوات. فظل بالرغم من تجاوزه الثلاثين بسنوات قاربت الخمس.. لا يقوى على مواجهة أخيه فى شيء على الإطلاق.

وأرتضت هى أن تقوم بخدمة أخيه وزوجته كلما سنحت ظروف زيارتهما.. وكان رضاء الحب.. والوفاء.

إلى أن جاء الليلة المشؤمة ...

فى لحظة طالما أمتعتها كثيرا.. وهو يشق صمت الليل بأنفاسه الثائرة.. يرتشف من فمها عصير النشوة.. ويعتصر بيده كل ما يهدأ من رغبته الجامحة.. بينما تستكين هى فى رضاء تام، على فراش الدفء والرغبة.. أثرها الحب.. وهمست..

- اتعلم يا عصام.. أن حبى يزداد لك يوما بعد يوم

ولم يجبها.

ولف شعرها الطويل على ذراعه.. وبقبضة يده الأخرى راح يجذب خصلاته بقسوة بالغة.. كانت تستشعرها لفحات هادئة تحرك كل كوامن أنوثتها.

وغابت مع قشعريرة الهوى.. وبدون أن تدرى همست من جديد.

- لا تكن قاسياً هكذا يا عصام.. الا تعرف أن ممارسة الحب فن.

- أى فن.. وأى حب.

ضحكت فى دلال.. وأجابت وهى تمر بشفتيها على عنقه.



- استعرت من جارتى كتاب بهذا المعنى.

اعتدل فى هدوء.. وبدون أن يلتفت اليها تتساءل.

- متى حدث هذا.. وكيف.

ولاتزال النشوة تدغدغ كيانها وهى تجيب فى استرخاء.

- ناولتنى أياه.. من النافذة.. أنه خاص بزوجها عادل.

سكنت مشاعره.. وربما أحبطها بنفسه.

لاحظته فى أضطراب.. فقالت.

- ماذا بك يا عصام؟

- لا شيء .. لا شيء..

استرخى على ظهره دون أن يلتفت اليها.. القى برأسه على الوسادةكأنما يلقى بنفسه بعيدا عن واقعه.. وراحت أصابعه تعبث تحت الوسادة.. وما كاد يفعل حتى تحسس بكفه حزمة من أوراق.. أكتشف فى حينها أنها أوراق نقديه. خمسون جنيها. ردد بصوت كالهمس.. ملتفتا اليها فى ذعر.. ومكررا.

- خمسون جنيها .. من أين؟

ازعجتها نظرة الارتياب فى عينيه فأبدات اضطرابا.



- أنها.. أنها خاصة بى .. لقد اقترضتها اليوم من صاحب الاستوديو.. اعتدل بهدوء وزاغت النظرة فى عينيه.. فلاحقته.

- حبيبى عصام.. أنها من أجلك .. أنت تعلم أن العام الدراسى اقترب.. وأنت فى حاجة إلى مصاريف للكتب .. و

قاطعها بحشرجة تعبث بنبراته.

- أى رجل هذا الذى يقرض عاملة عنده لم تمض معه أكثر من أسبوعين.. مبلغا كهذا.. الا لو كان فى الأمر.

.. قاطعته.

- عصام.. أرجوك لا تجعل الغيرة تعميك عن معرفة الحقيقة.. أقصد

ولكنها توقفت .. مقهورة.. أثر صفعة قوية باغتها بها بظهر كفه .. وفى عينيه ثورة جامحة :

- أنا الذى كنت أعمى فى الماضى.. ولم أكتشف حقيقتك إلا الآن.

نهضت مذعورة من جواره.. فلحق بها وهوى مرة أخرى على وجهها بيده صارخا بكل أسى المخدوع.

- ايتها الفاجرة.. كنت اعلم أن وراء طاعتك المزيفة.. غموض غريب.



– أرجوك يا عصام.. أنت لست فى وعيك الآن.. أنت

ولكنه سارع بمحاصرة رقبتها بكفيه.. ضاغطا بقسوة.. وهو يردد

– إعترفى بالحقيقة . اعترفى والا قتلتك الآن.

ومن بين انفاسها المختنقة.. قالت والدماء تنسحب من وجهها تدريجيا.

– أنت مجنون .. مجنون.

دفعها بعنف .. لتسقط على الأرض... كأنها سقطة النهاية.. وتسمر أمامها بعينين جاحظتين.

– بعد اليوم لن الوث نفسى بك.. انت طالق.. طالق.. واذهبى من حيث جئت.

وعادت وفاء..

وذابت بعودتها لهفة اللقاء.. ماتت الابتسامة على الشفاه.. وغابت معها كل أحاسيس الانتماء.

ثار الأب ثورة مزقت فى كيانها كل شعور بالاطمئنان.. وهاج الأخ هياج الثور الجريح.

وسكتت الشقيقتان الاخريتان.. تتابعان محكمة القهر والظلم تارة .. ودموع الحسرة فى عيون الأم تارة أخرى.

ووفاء تقف وسط حلبة الغليان.. مذعورة.. مضطربة.. واحساس بالذل يتسلل إلى كيانها مع كل حرف يترامى إلى مسامعها.

.. انت عارنا .. انت كل مصائب الدنيا.. ماذا نقول للناس للاقارب والجيران ايتها اللعينة.. سترين كيف ستكون حياتك فيما بعد.

ورأت...

رأت العذاب مجسدا فى أبيها .. وشقيقها.. رأت نظرة الحقد تتابعها اينما تنقلت داخل المنزل.. لا تكاد تجف جفونها لحظة حتى تلتهب من جديد كأن الحياة قد توقفت عند ذلك الحدث الرهيب.. كأن الطوفان يهرع إلى تلك العائلة قاصدا اياها بالتحديد.. كأن قرص الشمس الملتهب قدأنفجر ليصهرهم جميعا. والنهار استسلم لليل فأحجم عن الظهور.. وأنتحر القمر فى جوف النسيان.. كأن كل هذا حدث مع عودتها.. وكان لزاما عليها أن تتخذ قرارا آخر.

قرار أقسى على نفسها من مواجهتهم جميعا.

قرار العودة إلى عصام.. مرة أخرى.

ستحاول أن تعرف الحقيقة.. ستستشهد بصاحب الاستوديو.. ستذكره بليال الحب.. ولحظات الوفاء.. ستغفر له ذلك التصرف.. ستفعل أكثر من ذلك لتصلح من صدع الحنان الذى حدث فى جدران عشها الدفء.

ولكن .. أيمهلها القدر.

لم تجد عصام.. سألت .. وعلمت أنه سافر إلى أخيه بالقاهرة.. لم يكن أمامها طريقا آخر غير أن تجد عصام .. مهما كلفها الأمر.. عودتها إلى أهلها باتت فى حكم المستحيل بعد قراراها الأخير ربما يحطمون ضلوعها.. ربما يقتلونها.. ربما يشهرون بها.. كلها تصورات هامت فى مخيلتها. أو مخيلة السبع عشرة ربيعا من عمرها.. انتبهت على انها لا تملك ثمن تذكرة العودة من اسيوط وتحسست القلادة الذهبية التى قدمها اليها عصام يوم زفافها.. هل تفرط فيها؟

ولكنها السبيل للوصول اليه. وعند أقرب محل للمجوهرات.. وقفت وفاء تواجه أول موقف من نوعه فى حياتها.

وخرجت من المحل بجنيهات ليست بالكثير.. لتستقل قطار العودة.. كانت الساعات كئيبة.. عنيدة.. والافكار تلقى بمشاعرها وسط دوامات من اليأس والخوف.. كانت تعلم أن عليها مواجهة عناد الأخ الأكبر لعصام وغطرسته قبل محاولة اقناع زوجها نفسه... وكانت تعلم أنها لن تسلم من لسان زوجة أخيه التى عبرت عن غيرتها المستمرة من جمالها بمحاولة اذلالها بشتى الطرق.

.. ولكن من أجل الحب هانت عليها كل التوقعات وكل التصورات. وبمجرد دخولها البوابة الخارجية لمنزل عصام لم تنتظر صعود درجات السلم لتستفسر عن وجوده.. بل سارعت بسؤال البواب.



- الاستاذ عصام موجود.

أجابها الرجل مبتهجا.

- موجود يا هانم..

وقبل أن يعود إلى جلسته كانت هى تقفز الدرجات قفزات متتالية مدفوعة بلهفة وشوق لا يشاركها فيها سوى غريب عن دياره اذلته سنوات غربة طويلة.

طرقت الباب طرقات خفيفة متلاحقة.. لتظهر أمامها زوجة الاخ وفى عينيها اثار بركان حقد ما لبثت أن فجرته.

- نعم .. ماذا تريدين

- اخذتها المفاجأة ولم تستطع أن تتفوه بكلمة.. حاولت أن تتكلم.. أن تبكى .. أن تصرخ .. أن تعلن عن ظلمها.

ولكن كل شىء اختنق فى حلقها بمجرد ظهور الأخ من وراء الزوجة.. وبنبرة سليطة كرر السؤال السابق.. فهرولت وفاء اليه متجاوزة الأخرى ثم وقفت امامه باصرار.

- اريد عصام .. جئت أسأل عنه.

أشاح الرجل بوجهه عنها مرددا.

- عصام غير موجود.. وأبحثى عنه فى مكان آخر.

- أرجوك أمنحنى الفرصة لاشرح لك ما حدث.. ثم اننى علمت أنه موجود.

التفت اليها حانقا.

- اتكذبيننى .. اذن هو موجود .. ولكنك لن ترينه .. هو لا يريد رؤية وجهك.. ونحن لا يشرفنا وجودك بيننا.

ولم تستطع وفاء أن تتحكم فى مشاعرها البريئة.. وحاولت أن تندفع داخل الغرف القريبة والمغلقة.. وهى تصيح بصوت مرتفع.

- عصام .. عصام .. انقذنى يا عصام..

ولكن الرجل سرعان ما لحق بها وأمسك بذراعها.. فأحست به يعتصر قلبها، وأجهشت ببكاء مرير.. واسقطت نفسها عند قدميه متوسلة.

- ارجوك.. أقبل قدميك دعنى آراه.. فلا أحد لى بعده.. ودفنت رأسها فوق حذاءه. بينما وقف هو دون حراك، كأنما يستمتع أمام زوجته بذلك الجبروت الذى جعل من فتاة جميلة مثل وفاء تركع أمامه لتقبل قدميه.

وبفتور وجفاء أجاب.

- لا تحاولى استمالتى بتصرفك هذا.. هى كلمة واحدة قلتها.. لن ترى عصام بعد اليوم.



تشبثت بأصابعها على قدميه.. ودموعها تبلل حذاءه.. مرددة في مذلة وانكسار.

– لا .. مستحيل أن تنتهى حياتى هكذا .. أنا بريئة .. أقسم أننى..

وبكل وحشية ذلك القلب الغليظ.. عاجلها بدفعها بسطح قدمه لتستقر فوق جنبها..

– اذهبى بعارك من هنا.. اذهبى والا استدعيت لك الشرطة فى الحال.

تلوت على الأرض.. أو على جمرات العذاب.. وبأنفاس مضطربة متوجعة حاولت أن تقول شيئا.. أى شىء ربما يلين قلبه الصخرى.

– بريئة.. أقسم لكما أننى بريئة. ثم صرخت كأنها اللفظة الأخيرة فى حياتها.

– يا ظلمة .. انتم ظلمة..

واندفعت اليها زوجة الأخ بكل حقد غيرتها وقبضت على شعرها المسترسل الطويل بقوة.. وجذبته بقسوة قائلة.

– ايتها الماكرة .. اذهبى من هنا.. اذهبى.

وراحت تدفعها امامها إلى خارج الشقة.. وقبل أن تفيق وفاء من زهولها لاحظت ظهور عصام عند باب احدى الغرف.. والتفت الاخ اليه بنظرة قاسية بينما انفلتت هى من قبضة المرأة.. واسرعت اليه.



– عصام .. انقذني يا عصام.. صدقني أنا بريئة.. قبلت قدم اخيك بحثت عنك فى أسيوط .. يريدون التفرقة بيننا .. عصام أرجوك لا تتخلى عنى.. ابحث عن الحقيقة.. عصام اتسمعنى.. أنا وفاء.. أنا حبيبتك وفاء.. زوجتك يا عصام .. ارجوك.

وهى تهز كتفه تاره.. وتضمه إلى صدرها تارة أخرى.

بينما تصلب أمامها .. ساكنا دون حراك.. جاهدا فى أن يبتعد بنظره عنها. كأنه تمثال صخرى.. لا حياة فيه ولاحياء.

وفجأة تحركت شفتاه فوق وجهه الجامد.

– أنت لست زوجتى .. ولا حبيبتى. ولا صلة تربطنى بك، كما أنك انسانة بلا كرامة.. فأذهبى وابحثى عن كرامتك.. بعيدا عن هنا.

رفعت رأسها إلى عينيه.. وكأن شيئا لم يحدث منذ ثوان قليلة مضت.. كأنها لم تبك أبدا.. أو لم تتمرغ على أرض المذلة أمامهم جميعا.. كأنها ليست وفاء.

كل شيء تبدل فيها فجأة.. كانت نظراتها اليه جامدة يطول ترجمتها بالكلمات.. وفى وقفتها تحد مشحون بالاصرار.. وذابت همسات الاستجداء فوق شفتيها.. وصمتت فجأة .. وهى تطيل النظر إلى وجهه .. كأنها تبحث عن عصام فى ذلك الكيان الغريب الذى يقف امامها.. أو كأنها تنتظر مزيدا من الاهانة حتى تنتقم من نفسها انتقاما ترغب فى ألا تنساه.



وبهدوء غير متوقع للجميع.. استدارت منصرفة بخطوات ثابتة بلا تلكؤ أو ارتباك.. وتوارت خارج الشقة.. وصدى خطواتها على الدرجات يختفى رويدا رويدا إلى أن تلاشى تماما.

وفى الطريق.. كانت وفاء تحمل بين أضلعها قلبا غير قلبها.. ونفسا غير نفسها احست احاسيس جديدة تفرض وجودها على كيانها.. ولكنها احاسيس واضحة.. لا غموض فيها.. منحتها فرصة الانتقام من مشاعرها الذليلة الخائبة.

من أجل الحب كانت وفاء..

والآن بعد أن فقدت ذلك الاحساس فى قلبها.. اجتاحت صدرها رغبة عنيفة فى أن تفقد نفسها.. ان تكون أى شىء آخر إلا أن تكون وفاء.

خذلتها أفكارها لم تعد قادرة على التحكم فى عقلها المشتت كخطواتها.. تتلفت حولها كأنها تتوقع محاصرة كل عيون الدنيا لها.. كأن البشر جميعا قد علموا بقصتها الذليلة.. سمعوها وهى تستجدى.. ورأوا انكسارها عند الاقدام ونحيبها على حلم حياة اكتشفت أنه وهم وأن واقعها ما هو الا سراب.

ولكن إلى أين؟. راودها خاطر بأن تلجأ إلى احدى قريبات والدتها، ولكنه سرعان ما تراجع متقوقعا فى مخيلتها.. يد الأب لابد وأن تصل اليها .. قد تستعين قريبتها نفسها بوالدها خشية بطشه وغضبه.. وفى هذا نهاية العالم بالنسبة لها.

فجأة توقفت عن السير.. وسكنت لحظة تتأمل فى اللاشىء.. ثم رفعت يدها بهدوء وترقب إلى صدرها.. يا الهى.. النقود!

اذن فهى لم تسقط دموعها فقط تحت الأقدام ولم تسقط كرامتها أيضا.. بل أسقطت النقود وفقدتها وهى تتلوى على الأرض أثر ركلات شقيق عصام.

لم تعد ترى سوى أشباح هائمة حولها.. عيناها امتلأت بضباب حسرتها ويأسها الذى راح يتكثف بسرعة مذهلة.. ثم بكت.

وما كادت تخطو من جديد حتى تسمرت مرة أخرى فى مكانها.. وقد أمتلأت نظرتها بالرعب.. وبصورة أخيها الذى قدم نحوها مهرولا.. وبدون أن تدرى استدارت مندفعة بأقصى سرعتها غير مبالية بدهشة المارة.. أو اصطدامها بأحدهم.. لا شىء فى ذهنها ألا الهرب. وبدأ الفزع واضحا على وجهها الذى تسربت منه الدماء وهى تواصل طريق الهروب.. تختفى تارة وسط الزحام.. وتارة أخرى تخترق طريقا جانبيا كمحاولة لتضليله.. وكلما التفتت برأسها ورقفته على البعد وهو يتبعها فى اصرار.. خارت أرادتها وازداد نحيبها مع أنفاسها اللاهثة، وبسرعة دخلت أحد المبانى ودست نفسها وراء بابها وصدرها يعلو وينخفض وهى تكاد تسمع دقات قلبها المضطرب.. ولكم ودت فى تلك اللحظة أن تنشق الأرض تحتها لتبتلعها.. أو أن تكون لديها القدرة على خنق تلك الأنفاس المتلاحقة

حتى لا تصل إلى مسامع أخيها الغاضب.. والدقائق تمضى فـى توتـر يعصف بكيانها.

وبحذر شديد بـدأت تطـل برأسـها بحثـا عـن اخيهـا.. واحـاطت الطريق بنظرة سريعة.. اطمئنت بعدها إلى نجاحها فى الافلات منه.. تحركت ببطء شـديد لتتسـلل إلـى الخـارج.. وبـدون أن تشـعر أطلقـت صرخة دوت فى ارجاء المكان. عندما احست بيد تربت على ظهرهـا فجأة، وأستدارت مذعورة وهى تدفع بيدها امامهـا كأنهـا تحتمـى مـن صفعات سوف تتوالى عليها.

وجدت نفسها أمـام رجـل مسـن اسـتقرت علـى وجهـه اسـارير الطيبة والبشاشة.. فلاحقها قائلا. بصوت حنون :

– اهدئى يا أبنتى.. لا تخشى شيئا..

احست بالحرج لموقفهـا.. فسـكنت مـع نظـرة أرادتهـا اعتـذارا لتصرفها.. بينما استطرد الرجل وهو يلقى بنظرة خاطفة إلى الطريق.

– ماذا يخفيك يا أبنتى.. رأيتك تختبئين منذ لحظة.

تمالكت قليلا وهى تجيبه

– لقد ازعجنى بعض الشباب المستهتر وأنا فى طريقـى.. ولـم اجد حلا سوى الاخبتاء قليلا لكى اتمكن من مواصلة السير.

تقدم الرجل بخطوة خارج البوابة.. وتلفت حوله بنظرة صارمة كأنه يتأهب للتصدى لهؤلاء المشاغبين.. ثم عاد ادراجه مستفسرا.

– اين هم..

– لابد انهم انصرفوا..

تجاوزته فى ارتباك .. واردفت

– لابد ان انصرف الان .. واشكرك على موقفك.

وما كادت تخطو بضع خطوات حتى استوقفها مرة أخرى.

– انتظرى يا أبنتى .. انتظرى قليلا..

استدارت اليه.. واقتربت منه بهدوء.

– دعينى أوصلك إلى منزلك.. أو على الأقل ابعدك قليــلا عن هنا.. اين تسكنين.. انا طريقى إلى مصر الجديدة.

ترددت برهة .. ثم اجابت.

– وأنا أقيم هناك.. كنت فى زيارة لإحدى صديقاتى.

– اذن هيا بنا يا أبنتى.

وفى الطريق كانت وفاء شاردة الفكر تمامـا.. فهـى لا تعـرف إلى أين تذهب ولماذا قبلت عرض الرجل الطيب.. كل ما كان يشغلها هو أن تبتعد عن تلك المنطقـة.. وهـى لا تـدرى أن كـانت رغبـة فـى



الابتعاد عن الموقع الذى اذلت فيه نفسها.. أم هروبا من بطش اخيها.. بينما كان الآخر يسترسل فى حديثه عن شباب الماضى واخلاقه الحميدة.. مقارنا شباب جيله بهذا الشباب المستهتر، الذى لا هم له الا تصفيف شعره كالنساء ومطاردة الفتيات.. وهى ترد عليه بين الحين والآخر بابتسامة أو ايماءة.. إلى أن قطع عليها صمتها قائلا :

- هانحن فى مصر الجديدة.. عليك أن تدلينى الآن.

القت بنظرة سريعة من خلال نافذة السيارة.. ثم همست:

- الشارع القادم لو سمحت.

توقفت السيارة .. لتزل وفاء شاكرة للرجل صنيعه.. ثم واصلت سيرها بثبات كأنها تعلم إلى أين هى ذاهبة.

ومرة أخرى قفز إلى ذهنها السؤال.

إلى أين يا وفاء؟!

وبدأت صورة ابيها تقترب من مخيلتها وهو يتوعدها بالجلد.. وتمزيق جسدها.. يبشرها بالقتل.. أو الحرمان.. وبأن أخاها سيعود الآن ثائرا وبين شفتيه كل لعنات العالم عليها.. وتهديده بكيها بالنار.. أو بتوثيق يديها .. وقدميها.. ثم يلقى بها داخل غرفة منعزلة.

سرت قشعريرة فى كيانها لتلك التصورات.. فتوقفت فجأة كأنها تتأهب لاتخاذ قرار.. لا لن أعود.

همست فى نفسها .. ثم واصلت خطواتها.

كانت الشمس قد بدأت تشد رحالهـا إلـى افق آخـر.. مستسلمة للغيوم التى تبشر بقدوم القمر.. وقد بدأ الارهاق يزحف إلى جسـدها.. وخطواتهـا تتعثر..والخـوف يتسلل إلـى قلبهـا الصغير لتتفض مــع نبضاته المضطربة.

وبات لا مفر من البكاء.. فأستسلمت من جديـد لدموعهـا كأنهـا تتوسل للقدر أن يهبها لحظة اطمئنان واحدة.

حـاولت أن تقنـع نفسـها بـأن القـدر قـد اسـتجاب فعـلا لرجائهـا عندما ساقتها قدماها إلى كافتيريا كبيرة مع خاطر طارىء بـأن عليهـا البحث عن عمل أولا.. ولم تدع لنفسها فرصة للتردد كأنها تخشــى أن يتخلى عنها ذلك الخاطر كما تخلى عنها الآخرون.

ودخلـت الكافيتريـا وكـل نبضـة فـى عروقهـا ترتجـف ارتباكــا وحيرة.. وأمام المسئول عن المكـان وقفت تسـتجمع شـجاعتها لتبـدأ بالحديث.

- أبحث عن عمل.. هل أجد مكانا هنا؟

تناولها الرجل بنظرة فاحصة.. متسائلا.

- أين كنت تعملين؟

هاجمتها الحيرة فجأة .. فهى لم تتوقع هذا السؤال ولم تتخيله فى ذهنها واحست بأن مصير القرار مرتبط باجابتها.. أو باختلاق اكذوبة قد لا تضرها .. ولكنها حتما سوف تنتشلها من ذلك الخوف.

اجابت بارتباك

- كنت أعمل .. كنت أعمل فى كافيتريا الازهار .. و ..

فقاطعها دون أن يلتفت اليها .

- ولماذا تركتيها؟

صمتت لحظة لتأخذ فرصة اختلاق اكذوبة أخرى.. ثم أجابت.

- روادها قليلون.. ليسوا مثل رواد هذه الكافيتريا.

وأتسعت الابتسامة على شفتى المسئول فى زهو لهذا الاطراء أو لهذه السمعة.

- أعطينى بياناتك..

وكالتلميذة التى تسرد كل حصيلة معلوماتها أمام معلمها.. وقفت وفاء تملى على المسئول كل البيانات المطلوبة منها.. وفى النهاية رفع رأسه اليها وأعاد فحصها مرة أخرى بنظرة مدربة..

ثم قال :

- يمكنك استلام العمل بعد ثلاث أيام.

همست فى صدرها وهى تتصرف

ثلاثة أيام؟!

واصلت رحلة السير على غير هدى.. والظـلام مسيطر تمامـا على الأفق.. وكشافات السيارات المارقة تكشف عنها وهى متلكئة فى خطواتها .. تتنقل من طريق إلى آخر.. الجفاف بدأ يستقر فوق شفتيها العطشى إستندت بظهرها على جدار أحد المبانى لتستريح قليلا.. واصلت الخطى مرة ثانية عندما لاحظت مجموعة من الصبية قادمون.. تجاوزتهم بهدوء.. تحسست بلسانها المتشقق اطراف فمها.

إلى أين يا وفاء؟!

بالأمس القريب كانت ضحكتك تجلجل فى عشك الهادىء.. تمرحين فى رحاب الحب.. وتخططين لمستقبل باسم مع شريك حياتك.. يا الهى.. ايكون هذا جزائى.. اقدم مشاعر الوفاء قربانا لحياتى فتكيل لى العذاب.. ابحث عن استقرار الانسان الذى احببته.. فأجد نفسى طريدة.. اصون نفسى وكيانى فتحيطنى نظرات الشك والاتهام.. اليوم لا أجد مأوى التجأ اليه بعدما سخرت كل امكانياتى لاستقبالهم فى منزلى.. ولطالما شهدوا لى بذلك.. اهلى .. واقربائى .. واصدقاؤه.. صيقاتى..

صديقاتى...

توقفت عن حديثها الصامت.. وهى تكرر.. "صديقاتى".

أطلقت بصرها إلى المدى البعيد كأنها تسترجع فى مخيلتها خاطرا برق فى فكرها لحظة ثم توارى فى استحياء.. واضافة لتأكيد ذلك الخاطر.. هست لنسفها فى تحد هزيل.

.. وما الذى يمنعنى أن أقدم على ذلك؟!

.. هدى .. لا أحد غيرها سيقدر موقفى.

كانت هدى إحدى صديقاتها المقربة.. رفيقة طفولتها وسرها الامين فى شبابها.. هى الوحيدة التى كانت تقوم بزيارتها اثناء اقامتها فى اسيوط.. وهى الوحيدة التى شاركتها الاحاديث الطويلة عن قصة حبها لعصام.. وكيف عشقته.. وتعلم أيضا كيف تمت زيجتها منه رغما عن ارادة الجميع.. اذن لا أحد غير هدى يمكن أن يساندها فى هذه المحنة.

وبلا تردد اشارت إلى أول سيارة اجرة صادفتها.

- شبرا يا أسطى.

الساعة العاشرة مساء.. وطرقة خفيفة بقبضة وفاء على باب هدى.. وما كادت تتأكد من وجودها امامها حتى اندفعت إلى صدرها ودفنت رأسها فى رحلة جديدة مع للبكاء.. صمتت الصديقة فى شىء من الارتباك ثم أحاطت وجهها بكفيها متسائلة.

- وفاء.. ماذا بك.. كيف حال عمى وعمتى.. هل أصاب عصام أى مكروه، تكلمى يا وفاء تكلمى.

وتكلمت وفاء.. وزحفت السويعات إلى عرض الفجر وهى لاتزال مسترسلة مع صديقتها.. إلى أن اتمتها بما حدث لها فى الكافيتريا.. وموضوع الايام الثلاثة.. ثم رمقتها بنظرة خاطفة كأنها تشفق عليها من أن تكون قد آلمت مشاعرها بحكم علاقتهما الوطيدة.. ولكن سرعان ما ركزت عينيها إلى وجهها عندما لاحظت جمود أساريرها.. وكأن الأخرى لم تسمع شيئا قط.. أو كأنها امضت طوال الليل مع ذكريات خاصة بها.. ومضت لحظات صمت.. احست وفاء من خلالها أن صديقتها ربما لم تدرك انها توقفت عن الكلام.. وفجأة قفزت هدى من جانبها فى مرح.. وتناولت مظروفا من دولابها ثم عادت اليها وفى عينيها بريقا واضحا من السعادة.

– سأريك مفاجأة تسرين لها..

تناولت وفاء المظروف وهى تحت تأثير دهشتها من تصرف هدى.. نظرت اليها فى استسلام كأنها تستفسر عما يمكن أن تفعله بذلك المظروف.. فلاحقتها هدى.

– افتحيه .. ستجدين المفاجأة.

فتحته.. ودست اصابعها داخله لتلتقط بعض الصور الخاصة بهدى متأبطة ذراع شاب... تذركته وفاء على الفور.. واحدا من عشرات غيره كانت تربطهم علاقات مختلفة بهدى. وفى صورة

أخرى اتضح أن المناسبة خطوبة.. وقبل أن تلتقط الثالثة، انتبهت على صوت صديقتها قائلة.

- ما رأيك فى المفاجأة .. تمت خطبتى على مدحت منذ حوالى شهر.

وراحت تعدد لها مباهج هذه الليلة.. والاماكن التى ارتادتها معه .. وكيف احبته.. وهو يبادلها الشعور نفسه.

سكنت وفاء صامته تستشعر بدأ ثورة مشاعرها على كيانها المضطرب.

يالك من بلهاء.. اتعتقدين انها ستشاركك احزانك.. امازلت تأملين بأن هناك من يفعل هذا .. الأيام التى تقبر الصدق.. وتساند الظلم.. وتضم فى رحابها أناس يحملون بين جنباتهم قلوبا من الجليد.. لا يمكن أن تتعايش الا مع أمثال هدى.. وعصام.. و.

وفاء..

تنبهت لصديتها وهى تردد :

- وفاء.. ماذا بك .. لازلت انتظر تهنئتك.

سأفعل .. ولكن أما كان لك أن تختارى وقتا غير هذا الوقت.. وظرفا انسب من هذا.. سأهنئك يا صديقتى .. اعلمى ان فى قلبى جرح ارجو الا ينزف على شفتى امامك.

– مبروك يا هدى..

تلقت منها صديقتها التهنئة وهى تقترب بوجهها نحوها كأنها تتأهب لاستقبال قبلات جديدة.. وفعلت وفاء ما لمحت به صديقتها.. وقبلتها وهى تردد:

– مبروك مرة أخرى.. وتمنياتى لك بالسعادة...

– علينا بالنوم الان.. فمدحت سيأتى صباحا ليأخذنى فى نزهة.. سيسعد كثيرا لرؤيتك.. هيا يا حبيبتى.

واندست مسرعة تحت الغطاء.. وما هى الا ثوان قليلة حتى راحت فى رحلة مع النعاس بينما ظلت وفاء فى مكانها دون حراك.. تلملم شتات مشاعرها فى صمت .. كأنها تجتر جمرات اللهيب المتأجج فى صدرها .. واختلط عليها الأمر فى كل أحساس يترجم فى فكرها .. أو كأنها تتابع بحذر ذلك التغير الذى طرأ على تلك المشاعر.. أو تبحث فى أعماقها عن وفاء.

تسللت ببطء.. وتقدمت فى مواجهة مرآة دولاب الملابس الخاص بهدى.. ثم سكنت وهى تدقق النظر فى صورتها، تتابع دمعتها المنتحرة من بين جفنيها فى هدوء كبير.. وهى لا تدرى سببا واضحا لتلك الدمعة.. استعذبت لسعتها على وجنتيها معتبرة ذلك عهدا مشتركا بين ما تعانى منه فى قلبها وبين هذه القطرة البائسة..

عهدا لا تخاذل فيه الا بعد أن يتحقق شيئا ادركته حسا وجهلته مضمونا.

ثم استدارت مرة أخرى لتلقى بنظرة سريعة إلى نافذة الحجرة اكتشفت من خلالها أن يوما جديدا قد بدأ.

كان الارهاق قد استقر تماما فى عينيها التى حوصرت بشرايين تنذر بالانفجار من اختناق الدماء فيها.. وما كادت تتجه إلى مقعدها حتى شعرت بحركة على الفراش.. التفتت لتلتقى بعينى هدى التى استيقظت لتوها.

– صباح الخير يا وفاء.. متى استيقظت يا عزيزتى..

ابتسمت ابتسامة فاترة .. واجابت :

– منذ لحظات .. وفى الحقيقة أنا ..

قاطعتها وهى تتثاءب

– كم الساعة الآن يا ترى؟

تلفتت حولها كأنها تبحث عن انسان اخر يقف خلفها أوبجوارها.. فهى لا تملك ساعة.

– تقريبا التاسعة.. فالشمس اكتملت كما ترين..

–هه .. ماذا كنت ستقولين

صمتت برهة كأنها تسترجع ما كانت تقوله.

– فى الحقيقة يا هدى أنا لا أعرف كيف اشكرك . فأنا

قاطعتها مرة أخرى وهى تجلس القرفصاء على الفراش.

لاداعى للمجاملات يا وفاء.. فنحن اصدقاء منذ زمن..

ثم ضحكت ضحكة مجلجلة .. واستطردت

– عقابا لك على هذه الأفكار .. اذهبى إلى الردهة وستجدين منبه صغير يمكنك معرفة الوقت منه..

غابت وفاء لحظات جاءت بعدها غير قادرة على خنق الابتسامة التى ارتسمت على شفتيها.. ثم قالت

– منبهك العتيق .. اصيب بسكته قلبية يا هدى.

نظرت الأخرى اليها فى بلاهة كأنها تستفسر عن معنى ذلك.. فلاحقتها.

– أقصد انه لا يعمل .. يبدو أنه متوقف من بعد منتصف الليل..

نهضت من الفراش فى تلكؤ وهى تعبث باصابعها فى شعرها.. ثم ترددت قليلا أمام دولابها قبل أن تفتحه.. وتناولت صندوقا صغيرا وأبدت التفاته سريعة إلى وفاء التى لازالت فى مكانها.. فأتجهت اليها فى استحياء كأنها ستعترف بخطيئة اقترفتها فى حق الآخرين .. وهمست

- لم تحن الفرصة أمس لأطلعك على هدية مدحت.

وفتحت الصندوق بشيء من الارتباك .. ثم اردفت

- ما رأيك في هذه الساعة الذهبية .. ارأيت جمال هذا السوار؟

وتناولت قلادة كبيرة .. وقفزت تجاه المرأة

- يا الهي ما أجملها على صدري.

ثم عادت اليها مرة أخرى وأخذت الصندوق من بين يديها. وأمسكت بالساعة الذهبية.. وما أن لا حظت عقاربها.. حتى صاحت بإنفعال واضح.

- الساعة العاشرة والنصف.. لابد وأن استعد لاستقبال مدحت ثم اسرعت إلى الدولاب وأعادت الصندوق.. وهرولت إلى الغرفة المجاورة تاركة وفاء تستقبل على قلبها بصمة جديدة من بصمات الحقد وكأنها تتصيد تلك الهفوات كي تكون اضافة جديدة لمشاعرها المضطربة .. حيث دأبت خلال الثلاثة أيام التي اقامتها عندها على اجترار رغبات حبيسة في صدرها وأهمها الاحساس بالإنتقام.

وفي صباح اليوم الثالث تسلمت وفاء اليونوفورم الخاص بالوظيفة الجديدة.. والتحقت بالعمل كمضيفة بالكافيتريا.



وبالرغم من محاولتها لان يبدو الأمر طبيعيا لها والتخلص من احساس الرهبة الذى لازمها فى الساعات الأولى من استلامها للعمل إلا انها كلما نجحت فى ذلك أرتدت إلى حالتها السابقة من محاصرة عيون الرواد لجمالها الاخاذ وأنوثتها الفائرة واختلطت حولها الاحاسيس ما بين معجبة ومشدوهة وبين الغيرة التى سرعان ما أستقرت فى عيون زميلاتها فى الكافتيريا.. فقضت ساعات يومها تحاول الابتعاد عما قد يسبب لها اذى هى فى غنى عنه.

وفى حجرة تغيير الملابس انزوت فى أحد أركانها تخلع عن جسدها اليونوفورم وما كادت أن ترتدى فساتنها حتى انتبهت على طرقة متأدبة على باباها فأسرعت قائلة:

- لحظة من فضلك.

وقبل أن تنتهى من كلمتها فوجئت بالباب ينفلج لتظهر فتاة لم تجد صعوبة فى معرفتها حيث كانت تتنقل من مكان إلى آخر بجوارها كزميلة فى العمل كانت تلاحقها فى الذهاب والاياب بعينيها.

ومن خلال دهشة وفاء بادرتها الفتاة وعلى شفتيها ابتسامة عريضة قائلة :

- أنا فايزة .. توقعت أن تقدمى نفسك لى ولباقى الزميلات ولكنك لم تفعلى.. فوددت أكون البادئة . ابتسمت وفاء ابتسامة مماثلة واجابت :

– كنت سأفعل ذلك الآن .. تصورت أن الحديث مع الزميـلات ممنوع أثناء العمل.

أطلقت الأخرى ضحكة غير متوقعة وهى ترسل نظرة فاحصة على جسد وفاء احست بها تجردها من ملابسها الداخلية ثم.. قالت :

– لا شيء اسمه ممنوع يا صديقتى أمام رغبة الإنسان.

اندست وفاء داخل فستانها فأسرعت إليها الأخرى وعاونتها فى ارتدائه ثم اسقطت يدها برفق على خصرها.. وهمست.

– لك قوام رائع يا وفاء هنيئا لك بنظرات الاعجاب.

وباقتضاب مصحوب بالخجل أجابت

– أشكرك.

كانت فايزة قصـيرة القامـة سـمراء البشـرة.. لهـا شـعر قصـير أقرب إلى الباروكة المهملة وعينان بدتا وكأنهمـا قد استعارتهما مـن رجل مصاب بالشذوذ.. فمها يعانى من حجم شفيتها الغليظتيـن اللتيـن تتدلى السفلى منهما فى محاولة للدلال الماسخ فضلا عن انـف افطـس تخـرج الأنفـاس منـه كـالفحيح.. ومـع استمرار العلاقـة بينهمـا والتـى جاهدت فايزة على استمرارها اكتشفت وفاء مزيدا مـن الصفـات فـى صديقتها الجديدة فأدركت فيها سـلاطة اللسـان واسـتهتارها بكـل القيـم التى يفترض أن تكون فى النفس السوية.. بالاضافة إلى ميلهـا الشـديد

لحب التظاهر كمحاولة لتعويض احساسها بالنقص بسبب قلة حظها من الجمال.

ولكن الحاحها بالتطفل كان كفيلا بالرغم من ذلك لاستمرار العلاقة بينهما بل وازدياد ترابطها يوما بعد يوم.. وعلمت انها تعيش فى شقة مستقلة بعد طلاقها من زوجها بسبب تحايلت فى اخفائه.. وانها من عائلة ثرية تحكمها التقاليد البالية ومن أجل ذلك انحصروا عنها.

وباتت وفاء سعيدة بتلك العلاقة لاسباب كثيرة.. اهمها ان صديقتها تملك سيارة خاصة تارة تدعى انها تستعيرها من شقيقتها وتارة أخرى تدعى ملكيتها .. وفى كلتا الحالتين لم يكن يعنى وفاء غير توصيلها إلى المنزل كل يوم.. وفى كثير من الأحيان كانت تأتى بها فى الصباح.

وذات صباح استقلت وفاء السيارة بجانب فايزة ليذهبا سويا إلى العمل .. وقد بدا عليها أثر الارهاق فلاحظتها فايزة مستفسرة :

- ماذا بك يا جميلتى عيناك تكشفان عن ليلة باكية.

ثم ضحكت ضحكتها المميزة واردفت..

- بكاء العاشقين له مرارة العسل.

وعندما لاحظت عدم تجاوب وفاء معها.. واصلت

- حقا ماذا بك..

أطلقت وفاء زفرة طويلة من صدرها كأنها تحاول أن تلفظ كل الهموم التى تراكمت على صدرها مرة واحدة.. ثم أجابت.

– أى بكاء للعاشقين يا فايزة.. أنا أبكى حالى والظروف التى جعلتنى أنصهر كل مساء.

– لا أفهمك.. وضحى يا عزيزتى

– أننى أعانى من معاملة الانسانه التى كانت صديقتى فأنا أشعر طوال أقامتى عندها أننى أثقل من الجبل على صدرها.

ومضت لحظات صمت بينهما .. غابت فيها مع أفكارها ثم التفتت اليها فجأة قائلة :

– هذا يا غالية من حسن حظى.. ما رأيك لو أقمتى عندى؟

رمقتها بنظرة سريعة.. وقبل أن تجيب.. لاحقتها الأخرى.

– أرجوك لا ترفضى يا وفاء.. فأنا كما تعلمين أعيش بمفردى.. وأكيد سنستمتع طويلا بأوقاتنا .. ابتسمت وفاء فى تخاذل مما شجع الثانية واردفت.

– ابتداء من اليوم ستكون اقامتك عندى.. فى المساء عند عودتنا سأنتظرك عند الباب لتحضرى حقيبتك.

ثم ربتت على فخذها وتبعتها بقرصة مداعبة.. واستطردت :

– اسمعى لكلام فايزة دائما.. وأنت تربحين يا حلوة.

ثم واصلت ضحكاتها فى نشوة.

وفى المساء كانت فايزة تقبع فى سيارتها أمام منزل هدى فى انتظار قدوم وفاء التى صعدت لتأخذ ما يخصها من عند هدى .. وعند دخولها وجدتها وسط مجموعتها المعتادة وبينهم خطيبها يتسامرون ويضحكون كعادتهم فى كل مساء عندما كانوا يتركونها وحيدة فى الغرفة.. وبهدوء شديد استأذنت هدى أن تجمع حاجياتها الخاصة وأخبرتها بأنها سوف تسافر بضعة أيام فى رحلة مع العمل.. ولم تكن وفاء فى حاجة لكل تلك المبررات حيث بادرتها الأخرى بلا تردد متمنية لها التوفيق.

وبدأت فاء تجمع ما يخصها وتدسه فى كيس ورقى إلى أن أنتهت .. واستدارت لتعود وتلحق بالصديقة الجديدة فايزة.. ولكنها توقفت فجأة وكأن قدميها قيدت بالسلاسل.. ثم استدارت مرة أخرى تجاه دولاب الملابس ووقفت أمامه كالمذهولة.. ثم غابت فى حديث مع نفسها.

ما بالك يا وفاء تقفين هكذا كالبلهاء.. تقدمى فالفرصة متاحة.. لن يشعر بك أحد ولن يتهمك أحد.. ثم أنك أتهمت بشىء لم ترتكبيه والآن بأمكانك أن تفعلى ما تريدين وبلا أتهام .. هيا.. هيا يا وفاء تقدمى قبل فوات الأوان .. وزعى حسرتك على الاخرين.

وتقدمت ..

تناولت الصندوق والتقطت القلادة الذهبية. ثم دستها بسرعة خاطفة فى صدرها واعادت الصندوق بنفس السرعة.. ومرت بهدوء بجانبهم وهم يودعونها بكلمات مجاملة.. ولم تجب.

واستقلت السيارة المنتظرة ثم التفتت إلى فايزة قائلة باصرار.

أنا مستعدة الآن.

-٢-

انطلقت السيارة بسرعة مذهلة تقطع الطريق إلى الزمالك تقودها فايزة التى أطمأنت لوجودها إلى جانبها فأثرت الصمت تاركة وفاء تتلقى لفحات البرد على وجهها فى سكون مثير وفى عينيها نظرة هادئة كأنها تستلطع نتيجة تصرفها الذى منحها قدرا كبيرا من الارتياح والرضى.. كأنها قد أدركت الوسيلة التى ستمنحها حقها فى الاستقرار.. واسترضاء صدرها المتأجج بالحسرة.

هدى الآن ستذوب ابتسامتها التى طالما انزعجت منها.. وستتوتر العلاقة بينها وبين مدحت وقد ينفصلا وتضيع هدى على الطريق ويرتوى العذاب من الصدور وتشعل نار الحقد .. وسيحترق العالم.. و ..

– لقد وصلنا يا وفاء.

انتبهت على صوت فايزة التى أوقفت محرك سيارتها وبدأت فى الخروج منها مرددة.

– هيا يا عزيزتى .. هيا إلى منزلك الجديد .. وحياتك الجديدة.

وهى تضحك ضحكتها المائعة.

بينما رافقتها وفاء بإراءة سلبية.. ومشاعر غافلة... وما أن دخلت الشقة حتى تسمرت فى مكانها وهى تحيط المكان بعينين منبهرتين والتفاتات مسحورة.

كانت كل قطعة بالشقة تدل على الثراء الفاحش .. والذوق البراق حيث استقلت كل زاية بديكور مختلف.. وأثاث متعدد الألوان والأشكال. رفعت رأسها وقد فغرت فاها وهى تتأمل النجفة الكبيرة التى توسطت سقف الصالة الواسعة.. حيث تشعبت كالأخطبوت فى كل اتجاه فارضة سيطرتها على كافة الأركان.

– تقدمى يا وفاء .. أدخلى.

سحبتها من يدها .. فاطاعتها دون تلكؤ.

مضت بها من خلال ممر طويل استقرت على جانبيه العديد من التماثيل الرخامية الجميلة ارتفعت فوقها بضعة لوحات متناسقة الأحجام والأشكال.

واندلفت بها داخل حجرة مستطيلة يبدو عليها من أول وهلة أنها تسبح وسط ضباب بلون الدم والتماثيل يكاد يغلب عليها اللون الأحمر.

وتوقفت عينا وفاء عند أحد أركانها حيث انتصب بار كبير اصطفت خلفه عشرات من زجاجات المشروبات الروحية.. فألتفتت إلى زميلتها التى لم تدع لها فرصة الحديث وجذبتها إلى الخارج فى زهو .. وتنقلت بها من غرفة إلى أخرى.. هذه حجرة نوم.. وتلك للإستقبال .. وهذه حجرة نو م اضافية .. و ..

– وتلك :



همست وفاء بصوت مسموع .. وهى تقف وسط حجرة شرقية الطراز بماقعدها القصيرة المستديرة، وبساطها العربى.. ووسائدها الاسفنجية المتناثرة على الأرض.

فأجابتها :

– هذه يا ساحرة غرفة البنك الدولى.

رمقتها بنظرة مندهشة .. فلا حقتها وهى تبتسم ابتسامة خبيثة:

– أحيانا أتصورها معبدا للحب.. والآن يا جميلتى .. هيا إلى غرفة نومك لتستريحى من العناء.

ولم تكن فى كلمات فايزة أية مبالغة .. فحجرة النوم التى دخلتها وفاء كانت كفيلة بأن تجعلها تشعر وكأنها لم تعان قط فى حياتها الماضية.

الهدوء يحتضن نغما رقيقا يتدفق من جهاز تسجيل مثبت بجانبى السرير.. والأضواء خافتة تمتص القلق من بين الجفون.. وألوانها تنعكس على الستائر المدلاة فى شموخ لتجعل منها بساطا ساحرا للأعصاب.

تقدمت فى استحياء كبير إلى الحقيبة البلاستيك التى طوت بداخلها ملابسها الخاصة.. وتناولت قميص نومها فى ارتباك.. كأنها تخجل من أن ترتدى مثل هذا القميص على فراش كهذا .. وما كادت تفعل .. حتى أوقفتها فايزة قائلة :



- أظن انك لن تحتاجين لتلك الحقيبة بعد الآن ..

ثم أشارت تجاه دولاب الملابس .. وأردفت

- عندك كل ما ستحتاجين إليه.

وبهدوء كبير تناولت الحقيبة الصغيرة.. وتراجعت إلى الوراء منصرفة وهى تغلق بالباب مردده.

- تمنياتى بليلة سعيدة.

باتت بمفردها .. تقف ساكنة، وكأنها لا تجرؤ على أن تخطو على سجاد الحجرة الثمين.. عيناها تتلصصان لتكتشف فى كل مرة أنها أمام أسطورة من أساطير أحلامها المراهقة.. المرايا حولها تصر على أن تعكس أسارير وجهها المسحورة عند كل التفاتة.. عقلها تمرد عليها.. تركها فى حيرتها واستكان لغفوة حالمة بعيدا عن أية تساؤلات.

اتجهت ناحية الدولاب.. سكنت أمامه برهة ثم جذبت مقبضه بهدوء شديد لتجد نفسها أمام معرضا حديثا للأزياء.

ربما رأت مثل هذه الأزياء ذات يوم فى أحد المحلات الخاصة.. أو على شاشة التليفزيون.. ولكنها لم تتوقع قط أن ترى مثلها فى واقعها الحقيقى. ابتلعت صيحة الاعجاب بصعوبة.. وبلا ارادة بدأت تمد يدها لتخرج ما بداخله الواحدة تلو الأخرى.. وما تكاد

تضع أحدها على صدرها حتى تلقى بها على الفراش.. وتعيد الكرة مع الثانية..والثالثة.

وهكذا إلى أن أفرغته تماما ونقلت مما بداخله على الفراش..

وهى تتمايل فى نشوة السكرى.. إلى أن أستقرت فوق الملابس جميعها.. وراحت مع رحلة النوم.

فى رغبة ملحة لأن تحلم حلما طويلا لا ينتهى.. ولكى لا تفقد ما منحته لها الغفوة الساحرة.. ولكنها لم تحلم .. ولم يكن حلما كما اكتشفت فى صباح اليوم التالى.. بل كان واقعا حقيقيا احاطها بدائره من الدفء وهى راقدة على الفراش من خلال أشعة الشمس التى تسللت من نافذة حجرتها.. ولم تستيقظ على لكزة من عصام لتعد له الفطور.. ولا على لعنات السماء والأرض من فم أبيها وأخيها .. ولا على نظرات الملل والضيق من مضيفتها هدى.

ولكنها استيقظت على طرقة خفيفة ببابها .. وصوت فايزة يدعوها للأفطار .. وبمجرد دخولها القت نظرة سريعة على أكوام الملابس التى تناثرت على الفراش ثم سرعان ما سحبت نظرتها تجاه وفاء وكأنها لم تر شيئا.. أو كأنها كانت تدرك مسبقا ما سيحدث.. أوأن الأمر طبيعى.



بينما تسللت حمرة الخجل إلى وجه وفاء بعد أن أكتشفت موقعها فوق أحشاء دولاب الملابس.. فلاحقتها الأخرى بنبرة رقيقة وبتودد.

– أرجو أن تكونى قد استمتعتى بنوم هادىء.

نهضت مسرعة تلملم ارتباكها مع شعرها الطويل.. وأجابت :

– كانت ليلة من أحلى أيام عمرى.

ضمتها فايزة إلى صدرها وهى تتحسس ظهرها.

– لا تتعجلين فى حكمك.. فأيام عمرك لم تأت بعد.. هيا إلى الأفطار لنلحق بموعد العمل.

أطاعتها وفاء بابتسامة.. اتمت كل هذا وهى مستسلمة تماما إلى طوفان الحيرة والتساؤل.. ولم تستطع دوامة العمل فى ذلك اليوم أن تنتشلها بعيدا عن احساسها بالفضول والتعجب.

وراحت بين الآونة والأخرى تتصيد نظرة سريعة إلى صديقتها وهى تمارس عملها.. وكلما التقت عيناها بها كلما ازدادت حيرتها وتشعبت الحيرة فى صدرها.

ما الذى يدفع بانسانة مثل فايزة إلى العمل فى وظيفة متواضعة كهذه. من أين أتت بكل هذا الثراء.. أين أهلها.. تراها قد هربت هى الأخرى.. ماذا عن الغرفة الشرقية أو معبد الحب كما قالت.



ومن خلال نظرتها الشاردة.. ويقظتها الحالمة.. بدأت تستجمع فى مخيلتها صورة.. اكتشفت فى يحينها أنها كانت تركز عليها طوال شرودها دون أن تدرى.. كانت لعينين شاب يجلس فى الطرف الأقصى للحديقة وقد تشابكت نظراتهما فى غفوة مشتركة.

أرتبكت .. زاغت بنظرتها بعيدا.. تحركت فى اتجاه آخر.. ثم عادت من حيث بدأت .. انشغلت مع مائدة مجاورة.. ابتسمت للجالسين حولها بفتور فى محاولة لأخفاء اضطرابها المفاجىء.. التفتت تجاهه بنظرة سريعة لتجده منشغلا عنها.. وعن عينيها ببعض الأوراق التى امامه وكأن الأمر كان مصادفة..

وبالرغم من ذلك لم تستطع التخلص من اضطرابها.. أوتأكدها مما حدث.

ومن وراء أذنيها سمعت همسة مائعة.. أفزعتها وهى تستدير لتجد فايزة ترمقها بنظرة خبيثة.. وابتسامة أكثر ميوعة.

– نحن هنا.

صمتت كأنها تستفسر.. كما لو كانت تخشى أن تكون هى الأخرى قد سمعت حديثها الصامت.. وهمساتها الحائرة. بينما أردفت صديقتها قائلة :

– وحيد فهمى..

أجفلت وفاء مندهشة .. ثم تسألت



– ماذا تقصدين؟

لاحقتها بضحكة مكتومة خوفا من أن يسمعها أحد.. قائلة

– وحيد فهمى الشاعر الجديد.. ألم تقرئى ديوانه الأخير.. اعتقد أنه الأول فى مصر لقد كان مغتربا .. و ..

قاطعتها وفاء فى تردد

– أنا لا أفهم عمن تتحدثين.

– أيتها الماكرة .. أقصد من كنت تبادلينه النظرات منذ لحظة .. ولكنك يا عزيزتى لست وحدك التى وقعت فى هذا المأزق.. فكلهن من قبلك تصورن أنه يفعل هذا عن عمد.. إلى أن تأكدوا أن نظراته كلها شاردة.. فهو يأتى إلى هنا صباح كل يوم.. ولا يغير مكانه .. ثم يذوب مع شروده وقلمه فى بعض الأحيان.

أبتسمت وفاء قائلة :

– أنتى مخطئة يا فايزة .. لم يحدث شىء من هذا .. على الأقل من ناحيتى.

قاطعتها الأخرى غير مكترثة :

– وبالرغم من ذلك ولا واحدة منا تفضل أن تكون فى القسم المخصص له.. أنا شخصيا أفضل أن أتابعه من بعيد.

ثم أطلقت ضحكة سمحت لها بالمرور هذه المرة من بين شفتيها وأستطردت

– أتدرين لماذا .. البقشيش يا عزيزتى .. فأنا لن أشترى فستانا بقصيدة .. ولا سيارة ببيت شعر.

وواصلت ضحكاتها وهى تنصرف من أمامها.. وما أن أستدارت عنها ببضع خطوات .. حتى أستوقفتها وفاء كأنها تذكرت شيئا.. ثم لحقت بها فى توجس :

– لا تنتظرينى بعد انتهاء العمل.. سألحق بك فى المنزل.

فحصتها الأخرى جيدا قبل أن تجيب مستفسرة.

– موعد هام.

– أشارت بالنفى .. وأستدارت تباشر عملها تاركة فايزة تتابعها بدهشة ودهاء.

وعند الغروب كانت وفاء تخوض التجربة للمرة الثانية.. حيث وقفت تساوم هذه المرة صاحبة محل المجوهرات على ثمن القلادة الذهبية.. وبالرغم من أنها لم تفعل ذلك للمرة الأولى .. ألا أنها أحست برغبة فى أن تحصل على أعلى مبلغ من قيمة تلك القلادة .. كأنها تشفق على نفسها من أن يكون ثمن القلادة ثمنا بخثا.

تريده غاليا .. أغلى شىء فى الوجود .. حتى لو كانت القلادة لا تساوى تصوراتها .. ورغبتها . ألا أنها أحست بقيمتها غالية وهى

تقبض ثمنها.. وتسللت إلى أعماقها مشاعر الرضى وهى تقبض بأناملها على الخمسين جنيها.

وفى الطريق جذبتها ذكرياتها إلى الماضى القريب.. حيث الخمسين جنيها الأولى التى اقترضتها لزوجها.. ودفعت ثمنها الظلم.. والتشرد.

والآن إلى أين ستسوقنى هذه المرة؟!

وصلت إلى محل.. وابتعات شيئا منه لصديقتها فايزة.. وأشبعت رغبتها الجامحة فى ارتداء بنطلون "جينز" ولطالما تمنت فى عهدها الأول أن تمتلكه ولكن الامكانيات حالت دون ذلك.. ثم تحولت إلى متجر كبير "سوبر ماركت" والتهمت كل شىء بعينها.. المعلبات التى تعرف عنها بعض الشىء.. والتى لا تعرف عنها شيئا كثيرا.. وأنواع الجبن المختلفة.. وبعض الفاكهة.. إلى أن أحست بالشبع وأخيرا أبتاعت شيئا منها وأنصرفت وهى تتمايل من ثقل حملها الذى أحاطته بكلتا يديها على صدرها.. وقفت تشير برأسها تارة لسيارة أجرة وتضطر أن تدعوها بصوتها مرة أخرى.. إلى أن أستقلت أحداها وهى تستطلع الطريق فى ثقة وأطمئنان.

وأمام شقة فايزة ركلت الباب بقدميها ركلة خفيفة.. أنفلج بعدها لتطل فتاة شقراء.. بيضاء البشرة.. لها عينين جاحظتين..متوسطة الطول.. ممتلئة قليلا وعلى شفتيها ابتسامة ناعمة.

رفعت وفاء رأسها إلى أعلى لتتأكد من رقم الشقة.. ولكنها أسقطتها سريعا عندما همست الأخرى اليها قائلة :

– وفاء.. أنت وفاء أليس كذلك؟

أومأت وفاء برأسها دون أن تتفوه بحرف واحد.. بينما أردفت الثانية :

– تفضلى .. أنا هيام شقيقة فايزة.

وهنا ظهرت فايزة من ورائها .. ودعتها للدخول .. وافسحت هيام الطريق لها بعد أن تناولت بعضا مما تحمل .. وتبعتهما فى تردد إلى الداخل .. وترامى إلى مسامعها صوت فايزة تحدث شقيقتها :

– ما رأيك يا هيام .. أليست.

قاطعتها الأخرى.

– لا يا فايزة.. أنت لا تحسنى الوصف.. وفاء أكثر من رائعة.

ثم ألتفتت إليها وهى لازالت تقف وسط الصالة حائرة :

– سمعت عنك كثيرا.. ولكنى لم أتصور أنك بهذا الجمال الجذاب.. سنكون حتماً أصدقاء.

جلست وفاء تستمتع بكلمات الاطراء التى واصلت هيام زفها إليها وهى لا تقوى إلا على الابتسامة الخجلة التى تظهر وتختفى على شفتيها بين الحين والآخر.

كان واضحا فارق السن بين فايزة وشقيقتها هيام.. كانت الثانية تكبرها بثلاث سنوات تقريبا.. ولكنها أكثر جمالا.. وأعذب أسلوبا .. وأقل حركة.

ومن خلال حديث هيام عن كثرة أسفارها إلى الخارج.. وكثرة علاقاتها مع كافة المستويات.. وعن سيارتها المرسيدس التى أبدلتها بأخرى موديل العام نفسه.. وعن فيلا المعادى .. اكتشفت وفاء بأن الشقيقة الجديدة أكثر خبرة.. وثراء.. من فايزة التى بهرتها منذ يوم واحد فقط. كما اكتشفت بأن الطريق سوف يلقى أمامها بالمزيد من الانبهار.. ومن أمور أخرى أحستها ولكنها فشلت فى ترجمتها.

وذابت الساعات الطويلة فى لحظة مرح جمعت بينهن جميعا.. قادتها هيام بطرافة حديثها.. ثم فاجأتها ترمق شقيقتها بنظرة آمرة:

– ما رأيكما لو قضيتما باق الوقت فى فيلتى؟

وبلا تردد أجابت فايزة :

– كنت سأقترح ذلك منذ لحظة.

ثم التفتت إلى وفاء :

– ما رأيك يا وفاء .. نمضى الليلة عند هيام وفى الصباح نذهب إلى الكافيتيريا؟

.. أي رأي هذا الذي تبحثانه معي وأنا لا أملك حتى البقاء في مكاني.

أجابت بهدوء

– كما تريدين.

اتجهت إلى غرفتها لتبدل ملابسها.. فلحقت بها فايزة وتجاوزتها إلى دولاب الملابس.. ثم تناولت فستانا بلون الزئبق. وأسرعت تجاهها وهي تضعه على جسدها وتتفحصه بعينين مدربتين:

– ستكونين أكثر جمالا بهذا الفستان.. ارتديه وسوف ترين..

ارتدته.. وكانت كما توقعت صديقتها.

التف الفستان حول جسدها .. فحدد خصرها الرفيع.. ازداد بريقا بلونه الفضي.. وبدت كعروس البحر.. وشعرها يكشف من بين خصلاته عن جزء غير كبير من ظهرها العاري.. وقد برز نهداها في تحد مثير.. وازدادت ساقاها انتصابا عندما ارتدت حذاء سهرة وضعته أمامها الأخرى.. ثم جذبتها من يدها.. وأجلستها أمام المرأة تحدد لها معالم شفتيها وحاجبيها بأدوات المكياج.. ثم راحت تعطرها بعطر نافذ.. بين نهديها.. ووراء أذنيها.. وعلى شعرها.

بينما وفاء تستطلع نفسها بالمرآة كأنها تبحث من جديد عن نفسها وقبل أن تعبر عن انبهارها.. دخلت هيام ووقفت وراءها تحملق

فيها من خلال المرآة.. ثم رددت بسعادة : ألم أقل لك إننا سنصبح صديقتين جميمتين

كانت عقارب الساعة تشير إلى منتصف الليل .. عندما جلست وفاء بجوار هيام فى السيارة المرسيدس بينما استقرت فايزة فى المقعد الخلفى تستنشق نسمة الهواء فى استرخاء وسكينة.

وعند وصولهم إلى الفيللا لم تجد وفاء اختلافا كبيرا بينها وبين شقة فايزة باستثناء بعض الصور الفاضحة التى رفعت على أغلب جدرانها والهدوء المسيطر على المكان.. كما لاحظت انشغال هيام فى حديث تليفونى بمجرد دخولها .. فى الوقت الذى اختفت فيه فايزة برهة عادت بعدها وبيدها كأس تلالأت بداخله قطعة من الثلج وراحت تهزها باتقان وهى متجهة نحوها ومدتها اليها برفقة ابتسامة رقيقة :

– لنشرب نخب شقيقتنا الثالثة .. اليك يا عزيزتى.

ارتدت برأسها قليلا .. وأجابت :

– لا ... أقصد أنا لا أشرب ولم أحاول أن أفعل ذلك أبدا..و..

قاطعتها وهى تدنو منها بخطوة لاحقة .. وباصرار :

ألم نتفق على أننا سوف ننسى كل حياتنا السابقة.. ونبدأ حياة جديدة.. شردت لحظة كأنها تستطعم مذاق الكأس قبل أن ترتشف منه.. ثم قالت :

– صدقيني يا فايزة .. لا أستطيع .. ولو كنت...

ولكنها توقفت على صوت هيام التي أسرعت نحوهما بثقة كبيرة.. وبنظرة مماثلة للنظرة الآمرة السابقة رددت :

– هيا سأدعوكما لسهرة ممتعة.. هيا فالآخرون ينتظروننا..

التفتت وفاء تجاه الأخرى كأنها تستفسر عما يجب أن تفعله فوجدتها تبتلع محاولتها معها في ارتشاف ما بداخل الكأس إلى أن أنتهت منه.. وبادرتها بنظرة سريعة.. ثم ارتدت عنها إلى شقيقتها وقد اتسعت عيناها ببريق سعادة ومرح.

– ما أجملك يا هيام في مفاجأتك الرقيقة.

ومرة أخرى وجدت وفاء نفسها داخل السيارة المرسيدس وهي تشق الطريق بسرعة جنونية وحديث هامس يجمع الشقيقتين.. أحست بهما تتحدثان بكلمات لم تسمعها من قبل .. وكأنها لغة من باطن الأرض.

تحسست فستانها الذي اشتد بريقه تحت أعمدة الاضاءة التي تمر بجانبها السيارة..و رفعت كفها تتلمس صدرها العاري كأنها تخفيه عن القمر الذي تربع في الأفق المظلم.. أو من دغدغه النسمة الباردة التي اقتحمت جسدها في فجور. أدارت رأسها تبحث عن عيون أخرى تراقبها.. ثم استكانت في هدوء لدى اكتشافها بأنها الوحيدة التي تراقب نفسها.

انحرفت السيارة إلى طريق الهرم وبدات الأضــواء تقتحـم مقلتيها إلى أن استقرت أمام أحد الملاهى الليلية وسط سيارات مختلفة الموديلات والألوان.. تراصت فى هدوء تحت الأضواء المتلالئة بألوان الطيف.

وفجأة انشقت الأرض ليظهر رجل رياضى البدن .. انتفخ صدره بشكل مزعج وعلى شفتيه ابتسامه لا تتلاءم مع نظرة عينيه الشرسة.. ومع انحناءة جاهد أن تكون متأدبة همس قائلا :

- أهلا هيام هانم..

أومات هيام برأسها بعدم اكتراث.. ثم التفتت تجاه وفاء كأنها تبحث عن تأثير ما حدث فى عينيها.. وقد سبقتها فايزة فى الخروج من السيارة ثم لحق بها الاثنان.

وتعددت الانحناءات.. والايماءات.. وكلمات الترحيب.. والعيون المحاصرة.. واختلطت نغمات الموسيقى الصاخبة مع خطواتها ليتقدمهم دليل متأنق.. لا يكاد يخطو خطوتين حتى يحنى رأسه فى الثالثة وهو يشير بيده فى محاولة لارشادهم .. بينما تسبق هيام بخطوة كأنها تتجه إلى فيلتها بالمعادى.

وعند مائدة التصقت تقريبا بالمرقص قفز ثلاثة شبان للترحيب بهن.. وضح من الوهلة الأولى أنهم هؤلاء الذين تحدثت عنهم هيام.. وجاء دور وفاء لتجلس.. أحست بأن أحدهم يقف خلفها فالتفتت اليه

مذعورة كأنها تتوقع أن تمتد يده إلى عنقها وتضغط عليها حتى الموت.. ولكنها وجدت ابتسامة هادئة وهو يدفع بالمقعد تحتها برفق فجلست والاضطراب يشمل كيانها ثم أختار لنفسه مقعدا بجوارها وكأن شيئا لم يحدث.. وقع نظرها على شاب آخر يقوم بفس التصرف مع الأخرى.. وثانى.. وثالث.. دارت رأسها تستطلع الوجوه التى استقرت على الأعناق المتمايلة .. والأنغام الصاخبة تشتد.. وأصبح مستحلا أن يسمع أحد رفيقه.. وبالرغم من ذلك كانت الشفاة تتحرك.. والضحكات تشق الضوضاء.. وعلى مقربة منها رأت لأول مرة فى حياتها شباب ورجال وسيدات يقفزون فى رقصات هستيرية فوق المرقص.. وبلا ارادة تسللت بنظرها إلى فايزة، لتجد عينيها الشاذتين قد تسبلتا.. وشفتيها الغليظتين راحتا تعانيان تحت قضمات أسنانها الصفراء فى دلال ماسخ.. دققت النظر اليها كأنما تتأكد من أنها فايزة.

انتفضت فزعة عندما دوت بجانبها فرقعة مفاجأة لتجد رجلا أنيقا ممسكا بزجاجة كبيرة وقد انهمر من فوهتها سائل أقرب إلى الرغاوى أدركت فيما بعد أنها زجاجة شامبانيا، وبدأ يملأ الأكواب ولم تستطع هيام أن تتماسك أمام انتفاضة تلك الساذجة فأطلقت ضحكتها المائعة وهى ترفع عن كتفها وشاحا كانت تستتر به فى الطريق، لتكشف عن نصف نهديها وكل ظهرها.. وما أن أنتهت حتى توجهت إليها هامسة.

– يجب أن تعتادى يا حبيبتى .. ولا تضطربى..



وقبل أن تجيبها لاحظت تسلل فايزة من جانبها برفقة أحدهم وقفزت إلى المرقص معه واندست وسط الجمع تشاركهم القفزات.. والتمايلات .. وتعدد الخطوات التى تخبو وتظهر تحت انعكاسات الأضواء الثائرة.. المتوهجة.

راقبتها فى ذهول..

أيمكن أن تكون هى .. فايزة عاملة الكافيتيريا التى يتلبد شعرها صباحا من حبات العرق وهى تروح وتغدو بين موائد الكافيتيريا..

أيمكن أن تكون هى فايزة التى تومء نفس الايماءات كل يوم للزبائن؟!

أين الصينية والبقشيش والحذاء المستورد .. و .. من أين هذا ألسوار الذى يبرق تحت الضوء والقلادات المتهالكة على صدرها.. والخواتم التى تعانق أغلب أصابعها .. أين رائحة العرق من ذلك العطر النفاذ الذى يلهب الأنوف بالرغبات المكبوتة..

اقتحمت مخيلتها صورة وردة ابنة المرأة العجوز بائعة حلوى "العسلية" التى كانت تقف كل يوم أمام مدرستها وهى طفلة تبيع الحلوى.. تذكرتها وتذكرت الظلال السوداء التى كانت تزحف حول جفونها يوما بعد يوم إلى أن اختفت .. ولم تعد تأتى برفقة أمها ..

انها شبيهة بالظلال التى تحبط بعينى فايزة .. يومها حزنت وفاء.. تصورت أن وردة قد ماتت.. أو فقدتها أمها فى الطريق.

أنتبهت وهى تدير رأسها فى كل اتجاه كأنها تبحث حولها عن وردة على أمل أن تجدها..أو تجد ما يشبهها .. فكلهم الآن فى نظرها وردة.. لأنها لم تمت.. وربما هى الأخرى تراقص أحدهم.. وترتدى أفخر الثياب وتملك سيارة.

لابد انها نست والدتها.. والعسلية التى استسلمت للذباب.. والكعوب التى تشققت من خشونة الأرض.. لابد انها نست كل شيء..

- اراك لا تشربين..

انتبهت للصوت .. ولاحظت اختفاء هيام مع الشاب الثانى حيث ذابت هى أيضا وسط الحلبة.. كرر الشاب الذى بجوارها كلماته برفق.

- لماذا لا تشربين.. أنى اتابعك منذ دقائق وأنت غائبة مع أفكارك. ابتسمت فى تردد.

- ابدا .. ولكنى فى الحقيقة لا اشرب.

رمقها بمظرة.. احسنت بأنه يسخر منها .. أو ينصحها بعدم المراوغة.

لم يجبها والتفت تجاه الشاب المتأنق الواقف خلفها وهمس اليه .. وما هى الا لحظات حتى كانت امامها علبه من البيرة.. ثم لاحقها الشاب قائلا.. بابتسامة خبيثة.

- اعتقد انك لن تمانعين من الشراب الآن.. فبعض الأطفال يشربونها.

شربت .. ثم كانت الثانية.. والثالثة. وجاءت الشقيقتان برفقة الشابين.. وقد بدأت الشامبانيا تلعب برؤسهم.. بينما سكن الثالث فى هدؤ مثير بجانبها ينصت إلى الموسيقى الحالمة التى بدأت تتسلل إلى أذنيها تداعب مشروب الأطفال فى رأسها وبتأدب شديد همس اليها :

- اتسمحين لى بمراقصتك

اشارت بالنفى.. ثم اجابت.

صدقنى أنا لا ..

فلا حقتها هيام

- لا تتعللى بالارهاق .. هيا يا حبيبتى استمتعى.. ثم ان الرقصة لن تحتاج منك إلى مجهود .. انها حالمة يا عزيزتى .. حالمة.

وأطلقت ضحكة سكرى انعشت رفيقها مختلسا قبلة خاطفة أعجابا لمرحها.. وخفة ظلها .. كانت قدماها تصطك اضطرابا..

وكيانها ينتفض خجلا كأنها تراقص الشاب عارية وهى مستكينة إلى صدره.. يقودها بخطوات هادئة.. وبدأ سحر الأنغام يذيب ارتباكها رويدا.. فاجفلت جفونها كما لو كانت تتأهب للنوم على منكبيه.

ومضت ساعات الليل كالومضات وهى لا تكاد تجلس للترتشف رشفة من كوب البيرة حتى تعود مرة أخرى بارادتها إلى المرقص وترتمى فى هدوء على صدره.. حتى تسلل الفجر اليهم.

أدركت وفاء بعد هذه الليلة أن للزمن حسابا آخر غير غطيط النوم وتسلل اللصوص.. ونباح الكلاب .. عرفته حياة صاخبة وعيون متيقظة.. كل شيء فيه يبرق ببريق آخاذ.. عرفته دموع وضحكات .. وداع ولقاء.. بدايات ونهايات .. عرفته حياة كاملة مليئة بالاحلام والامنيات .. وملجأ لكل من أذلته الايام ليتخلص من آلامه على طريق ضياع لا نهاية له.

وعلى طريقه بدأت رحلتها الجديدة مع الأيام.. ترافق الليل بتعاطف كبير.. تلهث إلى الصخب باصرار كأنها تحجب عن أذنيها همسات أعماقها.. لم تعد تستشعر الخجل وهى تراقص أحداهم كما كانت .. لايهم من يكون .. استعذبت كلمات الاطراء وهى على يقين من نفاق حروفها .. أسعدها زحف الهالة السوداء تحت عينيها كانت تراها وساما منحتة لها ليالى الحرمان.. باتت تجتر الحقد طوال يومها ثم تسعى فى ليلها للتخلص منه إلى كل المحيطين بها أو من يسوقه حظه التعس إلى جوارها .. تعلمت كيف تراوغ دون أن ترفض



محـاولات الأمـل.. وكيـف تبتلـع عهودهــا دون أن تفقـد جاذبيتهـا .. وبهدوء الأفعى أستطاعت أن توطد علاقاتها بهيام بعد اكتشـافها بـأن الأخرى لا كيان لها.. صورة جوفاء تتحرك حسب تعليمـات شـقيقتها الكبرى.. لا شيء كان يقلقها غير احساسها بالخوف من متابعة وحيـد فهمى لها بعينيه كل صباح.. ولطاعا رغبت فـى التخلـى عـن عملهـا بسببه .. حاولت أن تستقطبه إلى قلبها لتتمكن من تدميره مـع افكـاره التى تتلائم مـع مشـاعرها الثـائرة.. فـأصطدمت بمزيـد مـن أحاسـيس القهر .. ولم يكن هو الاخر يدرك سببا مباشـرا لاستسـلامه لاحسـاس طارىء يـزداد تمكنـا مـن أعماقـه كلمـا اجتمعـا فـى حديـث خـاطف.. أونظره عابرة وهى بالكافيتريا.. إلى أن جاء يوم استجمع فيه شجاعته مستغلا اقترابها منـه وهـو جـالس علـى مائدتـه المعتـادة وقد امتـلأت الصفحات أمامه بدوائر هلامية بعد أن ترك لقلمه الحق فـى أن يعبـث بسطورها كما يشاء.. بادرها فى ارتباك :

- هل ستذهبين برفقة صديقتك اليوم كالعادة؟

تعمدت أن تتجاهل مقصده .. وبشفاه مبتسمة أجابت :

- بالطبع .. هل فى الأمر شيء؟

ثم وقفت تحملـق فيـه بهـدوء كأنهـا تتحيـن فرصـة الانقضـاض عليه مما ذاد فى ارتباكه.. وزاغ بعينيه بعيدا لبرهة ثم التفت قائلا :

- كنـت أريـد محــادثتك.. أقصــد .. لسـت أدرى كيـف أبـدأ كلماتى هنا.

.. تكلم .. هل سخر منك خيالك وجعلك تتصورني نزوة لقصيدة جديدة .. تكلم يا عزيزى الساذج.. ليتنى أعرف ما يدور بخاطرك الآن.

– أنا فى انتظار ما تريد.

قالتها بدلال .. اهدأ قليلا من اضطرابه .. فهمس متأدبا.

– فى الحقيقة منذ رأيتك وأنا..

ولكنه توقف عن الكلام عندما اضطرت وفاء للانصراف من أمامه فجأة لتلبية رغبة أحد الجالسين إلى المائدة القريبة.

وانتظر وحيد فهمى عودتها.. ولكنها لم تعد .. تركته حائراً فى أمرها .. وهو لا يدرى أن كانت قد تعمدت الا تعود أم أنها خشيت على نفسها من الهمسات الخفية التى قد تدور حولها.

وفى مساء ذات الليلة لم تستطع وفاء أن تتخلص من صورته أمام عينيها بالرغم من الهرج الذى ضجت به فيلا هيام لحفل عيد ميلادها الذى تحتفل به مرة كل أسبوعين عى الأكثر مع اختلاف المدعوين .. كانت كلما حاولت أن تتناسى محاولاته صباح اليوم برقصه طارئة أو بنظرة عابرة .. أو كأس فى الطريق.. سرعان ما يصيب محاولاتها الفشل .. فتراه أمامها بعينيه الحالمتين.. واسارير وجهه المستقرة.. واتزان تصرفاته.. وشروده الذى طالما امتعها مراقبته وهو سابح بعيدا عن واقعه.. وواقعها.

طلبها أحدهم للمراقصة، استجابت له مسرعة والابتسامة الجليدية المعتادة على شفتيها.. تلقفها آخر .. وثالث.. وهى تتنقل بينهم دون أن تدرى شيئا عن أحدهم.. فجميعهم هذه الليله غرباء عنها ولكنها اعتادت على لقاء الغرباء.

كان ضباب السجائر قد خيم فوق الرؤوس.. وبدأت الاجساد تتهالك على المقاعد .. وتتعثر الكلمات فوق الشفاة.. والعيون الجائعة خرجت عن وقارها باحثة عن صيدها المرتقب.. ظهرت هيام وسط ضيوفها بفستانها الفاضح المثير.. يقظة كالنمرة الجائعة.. تنساب بينهم كالأفعى.. وهى تتلقى تهنئة من هنا.. وقبلة من هناك.. تختلق حديثا هاما مع أحدهم فتسترخى أوصاله. وتثنى على هدية الثانى بنظره متصلة لها معنى واحد.. وما كادت تتخذ لنفسها مقعدا حيث تتمكن من مراقبة كل شيء حولها حتى لحق بها أحد المدعويين.. كل شيء فى صورته يدل على ثرائه الكبير .. خطواته لا تعكس حلقاته الخمسون التى تجاوزها بأربع سنوات.. وعيناه ثاقبتان حادتان.. اتجه اليها بشموخ وثقة .. وما أن دنا منها حتى أبدى انحناءة بسيطة هامسا..

- هيام هانم.. هلى لى من وقتك لحظات.

انتفضت هيلم بلا ارادة.. بدافع من معلوماتها الواسعة عن ثرائه الكبير.. وسرعان ما انشقت شفتاها عن ابتسامة ساخرة.

- صدقى بك يأمر فقط.



اهـتزت بطنـه فـي قهقـة مزهـوا بنفسـه .. وهـو يجلسـها إلى جواره.

– دائما أنت هكذا يا هيام هانم .. اجابتك جاهزة على طرف لسانك الرقيق.

قد ثملت مشاعره بضحكة أكثر من ميوعه نظرتها.. فسحقت اتزانه وهو يفرغ كأسه مرة واحدة.. ثم التفت اليها قائلا :

– ما رأيك فى رحلة إلى فرنسا لمدة أسبوعين .. و..

قاطعته وهى تكاد تقفز من فوق مقعدها :

– رائع .. رائع يا صدقى بك.. من الآن لو أردت.

– سنذهب مع مجموعة خاصه جدا.. وحبذا لو كانت هذه الحورية معك.

وأشار بعينه تجاه وفاء التى جلست بمفردها تقاوم رغبة ملحة تجذبها إلى الماضى البعيد.. التفتت هيام نحوها .. ترددت برهة ثم قالت :

– أى حورية.. فما أكثر الحوريات هنا.

ولكنها فشلت فى تصنع ضحكتها. فأثرت الصمت.. بينما لاحقها هو :

– لا. لا. بحثت منذ حضورى ولم أجد سواها تستحق أن تكون حورية.. تلك التى تجلس بمفردها.

وهذه المرة أشار بأصابعة نحوها فى تردد.

وكأنها ايقنت أن لا محاولة فالرجل يصر عليهـا.. ففاجأتـه فـى محاولة لاسترضائه.

ما رأيك لو تعارفتما .. و..

وقبل أن تنتهى مـن كلماتهـا .. انتصـب صدقـى بـك واقفـا بـلا مقدمات وقد ابتهجت أسارير وجهه فى فرحة طفوليه.. مرددا :

- هذا أفضل يا هيام هانم.

تبعها إلى حيث تجلس وفاء التى فوجئت بهيام وهى تشـير إلـى الرجل بزهو :

- صدقى بك عبدالوهاب.. رجل الاعمال المعروف.

ثم التفتت اليه وهى تشير تجاه وفاء :

- أقدم لك .. بوسى .. أعز صديقاتى.

أدارت وفاء رأسها كأنها تبحث عـن بوسـى هـذه .. ولكنهـا لـم تجـد سـواها .. رمقتهـا بنظـرة خاطفـة فـى محاولـة لان تستفسـر عـن الأمر فلاحقتها هيام مؤكدة اسمها.

- بوسى .. صدقى بك يدعوك معنـا فـى رحلـة إلـى بـاريس.. وفضل أن يبلغها لك بنفسه.

وقفت وفاء فى ذهول كالمسلوبة.. وقبل أن تتفوه بحرف واحـد تقدم صدقى بك بخطوة قائلا :



– بوسى هانم .. أرجو أن تقبلى دعوتى .. سنكون جميعا سعداء.

اختلست نظرة إلى هيام التى أشارت اليها بالموافقة .. فارتدت عنها سريعا إلى الرجل.

– بالطبع يا صدقى بك. ذلك يشرفنى.

تناول يدها برفق.. وضغط على كرشه المترهل فى انحناءة ليقبل كفها .. ثم رفع عيناه نحوها– لكم اسعدتنى موافقتك يا بوسى هانم.

ثم تركها منصرفا برفقة هيام التى بدت سعيدة بتلك الموافقة السريعة والتى أكدت بها تحقيق رغبة من رغباتها.

ومع خيوط الفجر بدأ المدعوين فى الانصراف الواحد تلو الآخر.. حتى باتت الفيلا لأصحابها فقط.. وما كادت هيام تدخل حجرتها ومن خلفها فايزة حتى استوقفتها وفاء.

– هيام ..

استدارت اليها .. وفى عينها نظرة خبيثة.. فأردفت

– ما هى قصة بوسى هذه

ابتسمت هيام ابتسامة مرهفة وأجابت

– اعتقد أن هذا أفضل لك .. على الأقل تتجنبى كثير من الأمور.

- ماذا تقصدين.

اقتربت الأخرى منها في تحد .. قائلة :

- يبدو أنك نسيت أباك وأخاك ربما لا يـزالان يبحثـان عنـك.. أليس من الأفضل أن تكوني من الآن بوسي.

ثم عادت إلى ادراجها ودخلت غرفتها مع فايزة دون أن تنتظـر منها أي تعليق.

وقفت وفـاء برهـة دون حـراك كـأن صاعقـة أصـــابت كيانهـا شـملتها بـرجفة عنيفــة .. وكـــأن الأرض انشـقت وقـذفـــت أمـــامها بـأبيها وأخيها.

دخلـت غرفتهـا واسـتلقت علـى فراشـها بكـامل ملابسـها.. وقـد تشابكت أفكارها في اضطراب كبير.. وغـابت مـع نفسـها فـي حديـث صامت تصورته يملأ الدنيـا بصـداه.. الآن جـاء الـدور لتتخلـص مـن وفاء.. أن تصدري حكمك بالاعدام على قهرك ومذلتك.. الآن يمكنـك أن تغتسلي من غبار الانكسار والهوان سأنسلخ بعيدا.. هـذه فرصتـي الوحيدة.. أن القدر يسترضيك.. فلا تتراجعي.

سحقا لوفاء التي ستعيدني إلى شبرا.

ومرحبا ببوسي صاحبة الدعوة إلى باريس.

ثم استسلمت لنوم عميق.

-٣-

اليوم خريفى .. والسحاب ملبد بالغيوم، يزحف بـاصرار تحت قرص الشـمس الملتهب.. كأنـه يسعى لترحيلهـا.. بينمـا وقف وحيد فهمى يتابع الاقتحـام الضبـابى وهو يفترش السماء من وراء نافذته الزجاجية وقد احتوته أحاسيس القلق والتردد محاولا اتخاذ قـرار الذهاب إلى الكافيتريا.. أو إلى فتاته الغريبة التى لا يعرف عنها سوى ما يدركه فى أعماقه.

وقف يصارع رغبته الملحة فى الذهاب اليها وهو يستميل قلبـه للاستسلام.. فهو يريدها بعيدا عن وجوده.. يأملهـا ارهاصـات حلم.. أو شطحات فكر.. يريدها أسطورة من أساطير الخيال.. تمنـى لـو لـم يكن رآها يوما.

وبالرغم من كل تلك الرغبات والامنيات الا أنه لم يسـتطع فـى النهاية مقاومة احساسا اقتحم عليه واقعـه وكيانـه ليعلن عن سيطرته الكاملة على أعماقه. وكان قرار العودة.. ولتكن عودة طبيعية.

وفى الطريق إلى الكافيتريا امتلكـه شـعور بـأن الطبيعـة غير راضية عندما شاءت اقداره أن تنتحر السحب على مرأى منه فهطلـت من نفسها بغزارة كبيرة كأنما أصيبت بخيبة أمل فـى إرادتـه وقررت التخلص من نفسها مع قراره المستسلم.



جلس إلى مائدته المعتادة.. وهو بين الأونة والأخرى يلتفت متوقعا بأن تكون على مقربة منه.. ازدادت توقعاته.. وكثرت التفاتاته ولكنها لم تأت .. حاول أن يستعيد قلمه الذي سقط من بين أصابعه دون أن يدرى .. ولكنه تمرد عليه .. قلب الصفحات البيضاء التى أمامه كأنه يسجل بعينيه على سطورها كل أمانيه.

ليتها تأتى الآن.

رفع عيناه كما لو كان قد تحققت رغبته بالفعل ليجد غير وجهها وابتسامة لم يرغبها.. وخطوات لم يسعده قدومها.. فتاة أخرى تعمل بالكافيتيريا.. تقدمت منه.. ولو أدركت حقيقة الاحساسيس التى جالت فى صدره تلك اللحظة لما تقدمت تجاهه.. ولكنها لم تدر واقتربت بابتسامة رقيقة. قائلة :

- هل من خدمة؟

حملق فيها برهة .. ثم تراجع سريعا وأجاب فى هدوء :

- فنجان قهوة لو سمحت.

ابتعدت وهو يراقبها فى حذر... كأنه يتأهب لسؤالها عن فتاته الغائبة.

ومضت دقائق تحولت فى حساباته إلى سنين طويلة قطعها فى رسم الدوائر المتشابكة على صفحاته التى طال انتظار سطورها لتحمل قصيدة جديدة.. وخاب أملها بتلك الدوائر الضائعة.

ومرة أخرى ظهرت الفتاة من جديد برفقة أحد مساعديها الذى وضع أمامه فنجان القهوة وانصرف.. وما كادت تنصرف حتى استوقفها بنبرة خجولة.

– يا أنسة .. اردت أن أسألك عن زميلة لك هنا.. وفى الحقيقة

ولكنها قاطعته بلطف.

– أنا أعمل بمفردى فى هذا القسم.. وهذه المرة الأولى التى أعمل بها فى الكافيتيريا .

– بمفردك؟

قالها باندهاش المتأكد .. فلاحقته

– بمفردى .. كل ما أعلمه أن اثنتين كانتا هنا وتركتا العمل بالأمس فقط.

ثم استطردت تثرثر عن مشقة المهنة.. والمتاعب التى تعترض فتاة مثلها .. و.. وهو لا يسمع من كلماتها شيئا، حيث أفزعته معلوماتها وكاد أن يهملها أو يتهاملها الا أنها جذبت حواسه من جديد عندما تطوعت قائلة بالحاح

– سأستدعى لك مسئول الكافيتريا.. لعله يفيدك.

ووجد نفسه يقاطعها بجفاء.

– لا.. أشكرك.. الحساب من فضلك.

نظرت اليه فى تعجب.. فلقد لفت انتباها تصرفه الغريب بالرغم من أن ما يعنيها هو كم سيضيف لحسابها فوق القيمة جزاء معلوماتها القيمة التى أفادته بها كما توقعت.. همست بتادب وهى تضع أمامه ورقة صغيرة.

– مائة وخمسون قرشا.

وكأن الآمة كانت تتربص وتتحين الفرصةلتثبت لذلك الكيان العنيد حقيقة ضعفه.. فتكالبت عليه فجأة بعد أن استشعر فى لحظة قاسية مرارة افتقاده لفتاته الوحيدة التى عانى من أجل استجماع شجاعته ليبوح لها بأسرار مشاعره وتجسدت حياته فى مخيلته ليتذكر وحدته.. وبلاء أمه بالمرض.. وسنون غربة طويلة تقلب خلالها على ألوان العذاب.. وهو فى محاولة للبحث عن ذاته وعن صدى قلمه.

عرف الحب فى عيون الآخرين وهو غير قادر على معايشته فى الواقع .. لسبب لا يدريه . تغنى بأوتار قصائده على أنغام السعادة التى لم يعرف الطريق اليها والآن وبعد أن أقترب الأمل من قلبه وشعر بنسمة الحب تداعب وجدانه.. فقد كل شىء.. وبات الأمل مفقودا.. والنسمة غدت شريدة لا يعرف إلى أين ستستقر.

أنتبه على سعال أمه المتصل أصناء دخوله إلى غرفته.. فتراجع مسرعا تجاه حجرتها ليجدها تئن تحت شيخوختها وفى عينيها ذبول يشارك قلبه.. وما أن رأته حتى بادرته قائلة بصوت متهالك تنبض نبراته بالحنان .. والحب..

– عدت يا وحيد كنت أخشى ألا أراك قبل أن ..

قاطعها برفق :

– لا تجزعى يا أمى .. فأنت بخير .. أنت..

اشارت برأسها تنفى توقعاته.. ثم أجابت بتثاقل.

– لا يا ولدى.. هذه المرة غير كل مرة.. المهم أنت يا بنى المهم أنت.

دنامنها وهو يتلمس جبهتها بشفتيه المرتعشتين.. ثم نهض بهدوء منصرفا اشفاقا عليها من أن ترى فى عينيه ما جاهد سنين طويلة فى أن يخفيه عنها.

وعاد إلى نافذته ليراقب من جديد الضباب السابح متوسلا فى أعماقه أن يحمل عنه عذابه ويرحل .. أو لعله يحمله هو ولكن.. تراها تعود؟!

وفى باريس أدركت بوسى من الوهلة الأولى أنها المقصودة بتلك الدعوة حيث دأب صدقى بك على الاهتمام بها وبكل شئونها.. غمرها بهداياه المختلفة فأرتدت كل ما تمنته يوما لقوامها.. وتزينت بأثمن الحلى والمجوهرات .. وأستغلت تلك الظاهرة لصالحها.. وراحت تداعب أمله فيها لتستزيد من امكانياته لنفسها وتحدد لكيانها موقعا بين الشقيقتين.. وخاصة هيام التى راقبت تصرفات الرجل بحذر كبير.. حاولت استقطابه لنفسها.. واستمالته بأساليب متعددة أظهرت من خلالها كل كوامن أنوثتها.. وخبراتها ولكنها لم تفلح



وباءت كافة محاولاتها بالفشل.. كما لاحظت أصراره على تواجد بوسى فى كل سهراتهم.. وجدت هيام أنها أمام رغبة جامحة لا سبيل للتصدى اليها.. الا بطريقة واحدة رأت أن ترجأها حتى مرحلة اليأس.. وكلما أصيبت بخيبة أمل فى الاستحواذ عليه كلما تراكم الحقد على بوسى.. وبدأت تمارس عليها سلطاتها بأساليب تكاد تقترب من المهانة والاذلال. تعمدت أن تظهر تلك السيطرة كلما حانت الفرصة وتواجد صدقى بك معهم.. تأمرها لكى تعد لها ملابس السهرة.. أوتطلب منها تمشيط شعرها وهى منشغلة عنها بحديث مع صديقها.. حتى أنها لم تدع فرصة لاذلالها وهى تمارس محاولات اغرائه، حيث بسطت قدميها على الكنبة لتكشف عن فخذيها أمامه.. ثم أطلقت صيحة آمرة منادية على بوسى :

– بوسى . أشعر ببعض التقلصات فى ساقى.. تعالى واضغطى عليها برفق.. وبلا مبرر تعمدت أن تتأوه بين اللحظة والأخرى .. قائلة :

– برفق .. برفق.

وتلقى بنظرة هائمة تجاهه.. وبالرغم من ذلك كانت عيناه لا تفارق صورة بوسى التى دأبت على تنفيذ كل رغبات هيام بذكاء خبيث لغرض فى نفسها تدركه جيدا.. بل خططت له أيضا.. مما جعل الأخرى تستثمر خبرتها بالرجال فى تشتيت مشاعر صدقى بك

بكيفية مثيرة.. استغلت انفرادها به وهم يتأهبون لقضاء سهرتهم المعتادة بأحد الملاهى الليلية.. فبدأت كلماتها اليه قائلة :

– صدقى بك .. أراك تزيد من إهتمامك ببوسى.

رمقها بنظرة سريعة كأنه يحاول أخفاء مشاعره الحقيقية.. فاستطردت :

– أمرك يهمنى أكثر من أى انسان آخر.. حتى ولو كانت صديقتى .. ولذلك أرجو ألا تندفع بمشاعرك أكثر.

تململ على مقعده مستفسرا :

– سأكون سعيدا .. لو كنت أكثر وضوحا.

ارتاحت إلى استعداده لسماع كلماتها.. وأحست بأنها امسكت بطرف اثارته.. فسارعت قائلة :

– أقصد احتفظ برصيد من الاعجاب .. فهناك حوريات كثيرات ستلتقى بهم برفقتى.. وقد تحتاج لرصيد من كلمات الاطراء لهن.

إبتسم فى زهو .. ثم سرعان ما عبثت اسايره فى شرود عندما أردفت.

– ثم أن بوسى فيما أعتقد لا تملك حق التفرغ لك.. فهى معروفة بكثرة علاقاتها.

ازدرد ريقه كمن يزدرد خيبة أمله.. وتسللت أحاسيس الرضى إلى صدره عندما تعلل ببعض الارهاق والغى سهرة الليلة على أن يعود اليهم فى اليوم التالى ليسهروا جميعا فى (هيلتون باريس).

وكان ذلك الموقف كفيلا بأن يحثها على مواصلة خطتها بتحمس كبير، ولم تنتظر نتيجة تصرفها مع صدقى بك.. وأنما اتجهت مباشرة إلى غرفة بوسى التى أوشكت على الانتهاء من ملابسها بمساعدة فايزة.. وسرعان ما تقنعت بوشاح كقناع الغضب على وجهها .. وفاجأتهما بصيحة ثائرة.

- هذا المعتوه ماذا يظن نفسه.

ثم صمتت على أمل أن تتدخل احداهن.. ولكنها لم تستطيعا التخلص من صمت دهشتها.. فألقت نظرتها إلى بوسى.. وأستطردت.

- تصورى يا عزيزتى أنه تعلل فى آخر لحظة بموعد هام.. وأرجأ السهرة للغد.

تدلت ابتسامة على فم بوسى .. وأجابت فى استهتار :

- وماذا فى الأمر.. لعله حقا منشغلا.. ثم

فقاطعتها بتذمر.



– هذا تصرف لا يليق بمكانتى.. وعلى كل حـال هو صديقـى وقد سئمت مرافقته.

وبدهاء أكثر نعومة من جلد الأفعى.. همهمت بوسى قائلة :

– هذا شأنك.

واستدارت تخلع عن جسدها فستان المناسبة.. وما كادت تفعل حتى لحقـت بهـا هيـام وهـى ترمـق شـقيقتها بنظـرة أدركـت ضـرورة مغادرتها للحجرة :

ثم اقتربت من أذن بوسى هامسة :

– انتظرى يا جميلتى.. لا تبدلى ملابسك.. فأنا لم أقرر هذا الا بعد أن تأكدت ممن سيحل محله.

التفتت اليها.

– ماذا تقصدين.

فحصتها بنظرة متكبرة .. وأجابت.

– هيام الشريعى لا تخضع لأحد يا عزيزتى.. فبالأمس التقيـت بصديق اخر ساقته الينا ظروفنا الحسنة.

أردفت بينما لم تعلق الأخرى.

– شباب .. ثراء.. ثم بالاضافة إلى ذلك .. يقدس الجمال.



وهى تتفحصها بنظرة ادركتها بوسى على الفور، واثرت الا تضيع الفرصة من يدها لتحقق رغبة ما تتأجج فى صدرها منذ ليال طويلة.

وسرعان ما تبدلت اسارير وجهها فى صورة المبتهجة.. مما دفع هيام لأن تفصح أكثر.

- أنا واثقة من أنه سيحوز أعجابك .. و ..

فقاطعها قائله.

- بالتأكيد فأنا أعرف الكثير عن ذوقك الرفيع.

وتبعتها هيام بحرص قبل أن تقول.

- أنتظرى .. هناك ما هو أروع وأهم .. ولكن عدينى أولا بأنك لن تبوحى لفايزة بشىء.

استجمعت قوتها وهى تتساءل :

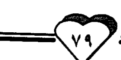
- أهو أمر خطير إلى هذا الحد.. ان كان كذلك فأنا أعدك.

اقتربت منها كأنها تحاول أن تجعل حديثها همسا.

- رآك منذ يومين معى .. ووعدته بأن أعطيك عنوانه .. هو متوقع ذهابك اليوم.

انتظرت برهة لترى نتيجة عرضها.. فوجدتها كما هى لاتزال تحتفظ بأسارير السعادة.. فأزدادت اطمئنانا.. واردفت.

- عنوانه (شارع المدارس رقم ٢١٠).



وفجأة ظهرت ملامح الغضب من جديد على وجهها مستطردة:

– هل ستذهبين .. أم

فلاحقتها بوسى

– بالطبع سأذهب الآن .. سيؤلمنى فراقك الليلة.

اطلقت الأخرى ضحكة الإنتصار ورددت وهى تنصرف خارج الحجرة.

– سأنتظر منك اخبار سعيدة غدا صباحا.. ولا تنس هديتى.

تركتها تقف بمفردها وقد تخلصت من ابتسامتها الباهتة.. وغابت شاردة مع نفسها كأنها تسترجع كل كلمه.. وهمسة صدرتا من هيام.. ورددت فى صمت

..ماذا تريد تلك الأفعى.. أى شيطان داعب فكرها.

هى تعلم أن امرأة مثل هيام ليست بالغبية حتى تمكنها من كشف اسرار حياتها الخاصة.. وتعلم بأن لديها القدر الكافى من احاسيس الانانية وحب التسلط مما يجعلها تحطم فى طريقها كل من يسعى لمشاركتها فى صيدها.. حتى ولو كان مسنا مثل صدقى بك.

وفى صباح اليوم التالى اتجهت ببطء خارج الحجرة، والقت بنظرة سريعة إلى غرفة نوم هيام فلم تجدها.. اسرعت إلى الغرفة الأخرى فلم تجدها أيضا.. تسللت الريبة أكثر إلى ذهنها .. حاولت



تبرير غيابها.. أدارت قرص التليفون وما أن اطمئنت لتواجد صدقى بك فى مسكنه حتى أعادت السماعة دون أن تحدثه.

خرجت إلى الطريق عسى أن تجد مع لفحة الصقيع ما ينقذ فكرها من التشتت.. رددت عنوان الشاب الثرى فى ذهنها خشية أن تفقده وسط دوامتها.. وكأنها تخطو تحت تأثير احساس أقوى من محاولات عقلها.. حيث دست نفسها فجأة داخل سيارة أجرة وأبلغت السائق عنوان صدقى بك... قطعت الطريق وهى تنمق الكلمات التى تستقطب بها صدقى بك فى نطاقها فقط.. وتخضعه لرغباتها وسيطرتها.

وأمام شقته وقفت برهة وكل حواسها فى اذنيها لتتأكد من وجوده بمفرده .. وفى اللحظة التى ظهر فيها الرجل أمامها كانت عيناها قد تلقت الأوامر لتتخلص من دموع مدربة انهمرت على وجنتيها فى وداعة اصابت قلب صدقى بك فجذبها إلى صدره وهو يكرر فى لهفة وجزع حقيقى.

– بوسى هانم .. ماذا بك .. اخبرينى أرجوك ماذا حدث.

صمتت برهة امامه تتأمله.. أو تستمتع بتاثيرها عليه.. ثم همست.

– لم أجد احد غيرك يمكننى أن اطمئن اليه.

جذبها برفق إلى الداخل واغلق الباب.. ثم اجلسها بجانبه وقد انتفخت أوداجه.. وأرتعشت جفونه فى ارتباك صبيانى :

- حديثى يا عزيتى.. فأنا لك كما تشائين.

رفعت كفها لتتحس بأصابعها حبات الدمع كما لو كانت تتأكد من أنزرافها.. ثم التفتت اليه قائلة :

- سأحدثك ولعلى لا اندم فيما بعد.

وحدثته .. قصت عليه كل شىء دبرته وخططته لهذه اللحظة.

حدثته عن محاولات هيام لكى تقودها إلى طريق البغى.. كيف أن كرامتها لا تسمح بذلك وعن استغلال الأخرى لحاجتها حتى تتعمد اذلالها .. و ..

دنت منه فى محاولة لاغرائه.. واثارته.. ثم قالت بصوت دافىء:

- أما اليوم .. ومنذ الساعة تقريبا.. حدث منها ما لم اكن اتوقعه.

وباهتمام مصطنع حيث بدأت خوالجه تذوب مع انفاسها المضطربة :

- ماذا حدث؟

- بعد انصرافك بالأمس.. جاءتنى هيام لكى..

ولكنها امسكت عن الكلام عندما ترامى إلى مسامعها رنين التليفون واتجه صدقى بك اليه.. وما كاد يرفع السماعة حتى اندفعت

الدمـاء إلـى رأسـه.. وازدادت عينـاه جحوظـا.. وسكتت هـى تنصـت باهتمام لاجابته.

– مسـتحيل .. كيـف تـأكدت.. متـى .. سـأفعل.. نعـم سـأتصل بك.. أكيد كنت مخطأ. نعم. نعم. سأفعل.. تحياتى.

اعاد السماعة إلى مكانها .. فأسقطت هى نظراتهـا فجـأة كأنهـا لا تزال تعانى من شرودها مع ازمتها.

فحصها بنظرة طويلة قبل أن يجلس إلى جوارها.. وتمتم:

– أذناى الآن لك صاغية.

قصت عليه قصة الشاب الثرى. ودعوة هيام لها للذهاب اليـه.. والعهد الذى قطعته على نفسها.. وكيـف أنهـا الآن تضحـى مـن أجـل شرفها.. ومن أجل احساس حاولت أن تخفيه عنه.

ومرة أخرى انهمرت قطرات الانقـاذ مـن بيـن جفونهـا. فـراح يربت على كتفها بتعاطف.. واشفاق.. ويجفف مدامعها برفق.. كاد أن يضمها ولكنه تراجع .. ثم نهـض فجـأة وابتعـد بضعـة خطـوات كأنـه سيلقى بيانا هاما.. ثم قال :

– أتعلمى من كان يحدثنى منذ دقائق فىالتلفون؟

هزت رأسها بالنسفى .. واستطرد :

– هيام .. هيام هانم.. اخبرتنى بأنك على موعد مع شاب ثرى عنوانه (شارع المدارس ٢٠١) وطلبت أن اضبطك معه حتى أعرف حقيقتك.. وأتخلى عنك..



ولكنه تقدم نحوها وأمسك بيدها يرفعها اليـه.. فاستجابت برقـة وانكسار .. ثم عاود اعترافه قائلا :

– ولكن .. الآن فقط سـأعلن لـك عـن حقيقـة واحـدة أرجـو أن تجد صداها فى أعماقك.. وهى انى .. احبك .. أجل أحبك .. و..

ولكنها قاطعته بصوت متهدج :

– لا أرجوك لا تحاول الاشفاق على .

الهبت مشـاعره.. وتراقصت نبضـات قلبه علـى انغـام اللهفـة والحنين.

– انها الحقيقة يابوسى.. ومن الان أنت كل شىء فى حياتى.

تسللت مـن امامـه إلـى التليفـون وادارت رقـم هيـام .. ومـا أن أجابت عليها حتى ارتفع صوتها عن تعمد :

– هيـام أرجـوك أعيـدى علـى عنوانـه .. فأنـا أحدثـك مـن الطريق.. نسيت العنوان فجأة.

– هكذا..ثم اردفت.. اشكرك.. لا تخشـى شيئا سـأتى بالهديـة غدا كما طلبتى منى.. ثم اطلقت ضحكة مائعة وهى تضع السماعة.. استدارت اليه ووقفت أمام عينيه هامسة :

– ربمـا تكـون تلـك المحادثـة سـببا لاقتنـاعك بـى .. وبصـــدق حديثى معك.

وبرفق كبير ضمها إلى صدره وهو يردد فى اصرار :

- احبك .. احبك .. احبك.

رفعت عينيها تتأمله فى حنان :

.. تحبنى أيها الأبلة.. أتعتقد أنى ساذجة مثلك لكى أثق فى كلماتك المعسولة ألا تخجل من نفسك.. كم ستدفع ثمنى.. اياك أن تكون مقطرا.. وبخيلا.

- لكم استعدتنى مشاعرك الرقيقة.. واعدك اننى سأطهر نفسى من أجلك.

أحاط وجهها بكفيه المرتجفتين :

- سأجعل منك اسعد انسانة فى الوجود.. احبك يا بوسى ..و..

حاول أن يقبلها فتسللت من بين كفيه .. واستدارت فى دلال تدرك مدى تأثيره عليه .. ثم همست :

- هناك مشكلة .. لا اعرف كيف أحلها.

تبعها فى لهفة :

- أى مشكلة يا عزيزتى ؟

رمقته فى دهاء :

– هيام .. انها تنتظـر منـى هديتهـا صباحـا .. ثـم .. ثـم كيـف سأقضى ليلتىهنا .. بمفردى .. أقصد..

قاطعها مبتسما فى رضى:

– يالك من طفلة غالية .. اتعتبرين ذلك الأمر مشكلة انتظرى.

غاب عنها بضع دقائق داخـل غرفتـه. ثـم عـاد اليهـا مبتهجـا.. وفى حياء طفولى تقدم قائلا :

– هذا ما يعادل خمسمائة جنيه.. اشترى لهـا هديتهـا صباحـا.. أما أنا فسأدبر مكان لى خارج الشقة.

خمسمائه جنيه دفعـة واحـدة .. مـن أجـل هديـة حقـيرة .. خمسمائه جنيه اطمعتنى أمـا وزوجـى ثلاثـة أشـهر كاملـة.. سـأعرف كيف أمتصك يا معتوهى الصغير.

– لا .. لا تنصرف من هنا .. يمكنك أن تختار غرفـة أخـرى بجانبى. ولكن لا تتركنى وحدى.

ملأت النشوة عينيه.. وتدلت شفتاه تدلها .. وولعا بحبها.

– يا حبيبتى الحنونة .. اتخشـين علـى ... سـأنفذ مـا تطلبيـن.. والان تعالى أريك غرفتك.

ضغطت على النقود بيدها وهـى تتبعـه .. ولـم تتركهـا الا بعـد انصرافه من الحجرة.. وأوصدت الباب جيدا.



امضت أغلب ساعات الليل وهى تعد الخطة التى ستواجه بها تلك الأحداث الجديدة.. سابحة مع أحلام اليقظة .. تبحث فى اعماقها عن كل أمنية لم تتحقق ولم تستطع تحقيقها.. تصورت سيارتها الفارهة الجديدة.. ودواليب ملابسها تكتظ بفساتينها.. وصندوق حديدى صلد ستجعله مخزنا لمجوهراتها.. سترتدى الحذاء ذو الرقبة الطويلة الذى اقتربت منه ذات يوم تستطلعه من وراء الزجاج فتلقت لكزة عنيفة من زوجها عصام.

فشراء هذا الحذاء يساوى الحياة أسبوعين بدون طعام.

ستلتحق بناد معروف.. وستصبح عضوا به.. قامت ببناء فيلا فى مخيلتها.. تصورت حتى زهور حديقتها الواسعة.. وقفص العصافير.. والمرجيحة العريضة .. والخدم .. ورئيسة الخدم.. و.

وغابت فى غفوة عميقة.

وفى الصباح تلقت المفاجأة الكبرى من صدقى بك الذى راح يمطرها بكلمات العشق.. والاطراء على مفاتنها التى سلبت لبه. حيث فاجأها بقرار سفرها برفقته فى رحلة حب إلى سويسرا.. بعيدا عن كل الناس.. وعن هيام وشقيقتها.

كما تلقى ما هو أعظم فى نظره من مفاجئته، اسرعت إلى صدره كما لو كانت على خشبة مسرح.. والقت برأسها على شحمه لأنها لم تدرك أن كل رأسها الصغير قد استقر على ثدييه المترهلين أم

على كرشه الذاخر.. ثم اختلست قبلة على جبهته واسرعت امامه فى خطوات راقصة وهى تدور حول نفسها فى بهجة وسعادة.

بينما تصلب هو فى مكانه وقد ارتخت كل عضلات بدنه الثقيل.. وفى عينيه نظرة بلهاء.. فبدا وكأنه صورة فوتوغرافية بالحجم الطبيعى.. إلى أن أقتربت منه مرة أخرى وقالت لاهثة :

– انه أعظم صباح فى حياتى.. أكاد أحلق فى سماء السعادة كم أنت رقيق.. كم أنت..

قاطعها كأنه يخشى أن يسقط مغشيا عليه من كلماتها التى عرفت الطريق إلى دغدغة مشاعره الصدئة :

– هذه هى البداية يا حبيتى .. هذه البداية.

كان سعيدا بحق.. أحس بمعجزة الحياة، وهى تعيد اليه شبابا قد تراكمت عليه السنون.. وبابتسامة صادقة طال رحيلها واغترابا عن شفتيه .. ورجفة أمل إلى شاطىء الاستقرار.

انتبه على صوتها وهى تستأذنة الانصراف إلى هيام طواها بنظرة متلهفة.. قائلا :

– لا تتأخرى غدا.. فالطائرة ستقلع بنا الساعة الواحدة ظهرا.

قذفت بقبلة طائرة من شفتيها ثم توارت منصرفة.

وفى الطريق راودتها خاطرة هذيلة، فكـرت أن تهـرب بـالمبلغ ولا تعود اليه ولا للأختيـن. هـذه الفرنكـات.. مـا أحـط قدرهـا بجـانب أحلامها المتدفقة.. وامانيها المحرومة.

سرعان ما تراجعت عن تلك الخاطرة كما لو كانت قد ذكرتهـا بنفسها المقهورة. وقفت أمام أحد محلات الازياء.. دنت بوجهها تدقـق فى بلوزة رقيقة من وراء الزجاج لتبتاعها هدية لهيام.. تخيلت شـكلها بالبلوزة.. رأتها جميلـة عليهـا.. فتراجعت عنهـا فجـأة. تحولـت إلـى مكان آخر.. وثالث .. ولكنها كانت تنصرف بمجرد أن تقفـز صـورة هيام إلى ذهنها وهى ترتدى هديتهـا.. خاصـة اذا بـدت جميلـة.. وفـى النهاية ابتاعت خاتما ذهبيا رقيق المنظر.. والثمن..

وعادت .. توقفت لحظة أمام الباب .. ودست بعض الفرنكـات فى صدرها ثم طوت الباقى مع الهدية.. ضغطت على الجـرس وهـى متأهبة لكل الاحتمالات.

كان استقبال هيام رائعا.. امطرتها بالقبلات.. ضمتها أكثر مـن مرة على صدرها وعينيها لاتفارق العلبة التـى امسـكت بهـا بوسـى.. بينما أسرعت فايزة تجذبها من يدها قائلة :

– هيا .. هيا حدثينا عن ليلتك يا زهرتنا الحلوة.



استجابت لهما وقد تعمدت أن تحتفظ بالعلبة فى يدها فى محاولة لرفع درجة قلق الأخرى التى لم تستطع مقاومة رغباتها فهمست اليها بخبث :

– حدثينى عن هديتى يا بوسى .. بوسى هانم.

التفتت تجاهها فى نظرة طويلة :

.. انها مؤامرة اذن .. أنتما الاثنتان اشتركتا فيها .. أيتها الحقيرة الساذجة هل ظننتى اننى صدقتك عندما حاولت اقناعى باخفاء السر عن فايزة .. أن عقلك أغبى من نظرتك تلك.

– خذى يا عزيزتى.. واعتقد أن معها مبلغا لا أعرف قدره.

اختطفت العلبة من يدها .. وفتحتها .. ثم تحولت إلى النقود. وعدتها بسرعة... ثم التفتت اليها بريبة وشك :

– انه يعشق المداعبة.. ولذلك أرسل لى بعض الفرنكات على سبيل المزاح.. أليس كذلك يا بوسى؟

أحست بوسى بمؤشرات الاتهام تكاد تقفز من عينى هيام فلاحقتها :

– بالتأكيد .. كما اخبرنى بضرورة ذهابك أنت وفايزة اليه غدا.

انفرجت أساريرها وتساءلت :

- وأنت ؟

كررت :

- انتما فقط .. ولست أدرى السبب.

ضحكت هيام ضحكة نهايتها أطول من بدايتها.. ثم قالت :

أنا أعرف السبب .. أعرفه جيدا.. وسوف ادربك عليه فيما بعد .. حتى لا يشكو منك أحد.

تدخلت فايزة مقاطعة فى همس إلى شقيقتها :

- لعلها لم تعجبه .. أو ..

أدارت رأسها بهدوء وأجابتها :

- معلوماتى أنه ليس أعمى.. هناك أمر آخر سنعرفه غدا.

ثم ارتفع صوتها قليلا فى تساؤل إلى بوسى :

- أى ساعة موعدنا؟

صمتت لحظات قبل أن تجيب كانها تسترجع الموعد.. أو تعيد حسبات أشياء فى نفسها:

- الحادية عشر والنصف صباحا.

وفى نبرة مشتركة صاحت الشقيقتان :

- صباحا .. وأردفت هيام :

- أمتأكدة .. صباحا ؟

أومأت برأسها فى براءة كبيرة .. قائلة :

- هكذا .. أبلغنى الموعد.

وما كادت تتجه إلى غرفتها حتى توقفت.. واستدارت اليها كأنها تذكرت شيئا فجأة . وسألتها بخبث :

- أكانت ليلتك سعيدة ؟

ابتسمت فى خجل.. وهى تهز رأسها بالايجاب.

ادركت بوسى فى هذه اللحظة أن الأخرى تطمئن عما حدث من صدقى بك.. ورأت الدهشة فى عينيها ورغبة فى أن تسألها أن كانت رأته حتى ولو مصادفة. وكأنها تلقى عليها باللوم لأنها لم تتح له فرصة ضبطها مع الشاب.

ولم تدع لها فرصة مواصلة الحديث.. والأسئلة.. حيث استدارت هى هذه المرة حتى توارت فى غرفتها وأغلقت بابها وهى تتخلص من زفرة طويلة أثقلت على صدرها دقائق مملة.

كان صباحا متوترا...

تعمدت بوسى ألا تنهض من فراشها.. تصنعت النوم .. وهى تنصت بحذر واهتمام إلى تحركات هيام وفايزة وهما تتأهبتان لمغادرة



المنزل حسب الموعد. قطعتا الطريق فى صمت وشرود.. كأنهما تخشيان مقابلة جافة منه.. وسرعان ما زحفت إلى مخيلتها بارقه تفاؤل.. فتتصور أنه أعد لهما مفاجأة سارة.. أولعله يريد مكافأتهما على هديتهما الثمينة.

وطارت تصوراتهما .. وتوقعاتهما.. بمجرد وصولهما إلى عنوان الشاب حيث اكتشفتا الحقيقة عنده.. تملك هيام الذهول فسكنت أمامه فى شرود كأنها تبحث عن سبب لتصرف بوسى الغريب.

رددت فى صمت :

.. والهدية .. والنقود .. من أين أتت بهما ؟!

التفتت اليه .. كادت أن تسأله أن كان متأكدا .. أرادت أن تقص عليه الحقيقة.. ولكنها امسكت عن الكلام واشارت إلى فايزة لتتصرف معها.

وبعودتهما إلى المنزل .. وضحت الاجابة لكل تساؤلاتهما الحائرة.

وما كادت هيام تقرأ الورقة التى تركتها بوسى لها وعينيها تمرقان فوق السطور فى فزع.

رحلت مع خطيبى صدقى بك عبدالوهاب.. أردت أن أعطيك فرصة الاستمتاع والاحتفاظ بالشاب الثرى لنفسك.. وبالفرنكات فقد تحتاجين لها.. للعلم .. صدقى تبرع بدفع حساب اقامتكما لليوم ..

وعليك تدبير اقامتك فيما بعد .. اذا كانت باريس قد أعجبتك.. يا هيام هانم.. صديقتك الوفية .. بوسى..

مزقت الرسالة فى شراسة. تحركت كالمجنونة داخل الحجرات.. بدأت تحطم كل شيء فى طريقها .. أطاحت بالمقاعد.. تناثرت أشلاء التحف والفازات على الأرض.. تهشمت بأكملها.. صادفت فايزة فى طريقها .. صفعتها بقسوة .. صارخة :

– انت السبب .. انها صديقتك.

استدارت وهى تواصل صراخها والشرر يكاد يتطاير من عينيها.. توعدت .. هددت والحقد فى نبرة صوتها.. اقسمت بأن تقضى عليها.

وفجأة .. تسمرت فى مكانها ثم ألقت بنظرة بعيدة من خلال نافذتها وحدثت نفسها بصوت مسموع :

..الأيام بيننا .. يا بوسى هانم!

ثم بصقت امامها كما لو كانت بوسى تقف فى مواجهتها تماما.. تصورت انها قد حضرت اهانتها .. ولكن كيف؟.

- ٤ -

استعادت بوسى قدرا كبيرا من ثقتها فى نفسها وهى فى رحلتها مع صدقى بك إلى سويسرا.. كما اطمئنت تماما ليسطرتها عليه..حيث دأب على تلبيه كل رغباتها دون تلكؤ.. وازداد حبا وولعا بجمالها فغمرها بهداياه ألثمينه من مجوهرات وخلافة.

بدا مهووسا بها وهى تتعمد أن تشعل مشاعره بلهيب الرغبة واللهفة.. ارتدت أحدث الموديلات .. واقتنيت ما هو زائد عن حاجتها لمجرد الاقتناء.. إلى أن جاءت اللحظة التى ذكرتها بما كانت تدركه جيدا.. ولكن الاحداث جعلتها تغفل عنها .. وهى اقتناعها التام بأن لا عطاء بلا مقابل.

وفى تلك الليلة أفصح صدقى بك عن رغبته.. أو عن المقابل. ولم تتردد..

منحته المقابل من جسدها.. وانوثتها.. بالقدر الذى بات بين يديها كالدمية الصغيرة تعبث بها كما تشاء.. وفى كل مرة تستسلم فيها لرغبة كانت تشعر بنفسها وقد اقتربت من السيارة المرسيدس.. أو من رصيد البنك المنتظر.. باتت القبلة التى تمنحها له تمثل بالنسبة لها اضافة جديدة لتحقيق هدف ما.. حتى اعتاد هو الآخر على ذلك دون أن يدرى... فما يكاد يتلمس آثار شفتيها على شفتيه الا وتكون هديتها جاهزة.. بقدر القبلة.. وما أعظم قدرها بالنسبة له. لم يعد ليلها مقلقا

ولا قاسيا.. بل بات انيسا مفضلا لها تستعيد معه كل الوعود.. والامانى.. فأستعذبته فى رضاء تام كأنها تغرى ضميرها بالانسحاب أو بتأيدها لخطيئتها المستمرة.

وكلما كثرت محاولاته المتعددة لاسترضائها اضافت إلى قلبها رصيدا جديدا من النفوذ تجاهه.. كأنها تخش أن تنساق وراء مشاعره الصادقة الطيبة.. إلى أن حانت الفرصة التى اطمئنت من خلالها إلى ارادتها وقد اقترب موعد عودتها إلى القاهرة بأيام قليلة.. تأهبت لتصفف شعرها كعادتها كل يوم وما كادت تدخل الاسانسير لاحظت وجود شاب بداخله.. لم يصعب عليها اكتشاف مصريته للوهلة الأولى.. ابتسمت بجرأة.. وبادلها الابتسامة باتزان.

وعند مغادرتها الاسانسير استوقفها الشاب بتأدب.

– حضرتك مصرية .. اليس كذلك.

ضحكت بدلال.. ثم اجابت.

– عرفتك دون أن اسألك.

أظهر شيء من الارتباك على اساريره ثم قال.

– بمفردك هنا.

سكتت برهة ثم اجابت.

– لا .. برفقة والدى .. وانت.

تقدم بجانبها إلى البوابة الخارجية ثم أجاب.

- لدى بعض الأعمال هنا .. فأنا أملك معرضا للسيارات بالقاهرة.

فحصته بنظرة جريئة.. كمن تزنه بعينيها.. ولم تتفوه بشىء.. التفت اليها بتردد.

- تسمحى لى أن أوصلك بسيارتى إلى المكان الذى ترغبينه.

- أخشى أن أرهقك.

ابتسم مبتهجا.. وهو يتقدمها بخطوة إلى سيارته البونتياك.. وقفت تتأملها برهه قبل أن تدس بنفسها بداخلها.. وما أن استقرت بجانبه .. حتى سألته بدهاء.

- معرضك كبير .. أم.

قاطعها بزهو.

- لدى توكيل عدة شركات تنتج أفخم سيارات فى العالم.

فكرت أن تستفسر عن ماركة السيارة التى تركبها.. ولكنها تراجعت حتى لا تشكف عن جهلها.. مد اليها بسيجارة من علبته الذهبية.

فأمتنعت تنفى باصرار.

اشكرك .. أنا لا أدخن.

- انتما فى سياحة ... أم عمل.

لاحقته مسرعة.

- والدى اعتاد أن يخصنى من وقته شهران مـن كـل عـام فـى جوله حول العالم.

تردد برهة قبل أن يتمم سؤاله.

- لست أدرى أن كان من حقى التعرف على اسمك.

- بوسى .. اسمى بوسى صدقى.

أخرج من جيبه "كارت".. ثم مده اليها قائلا :

- هذا عنوانى بالقاهرة.. ربما تحتاجين لسيارة جديدة.

أمسكت بالكارت ونظرت اليه طويلا.. حدثت نفسها قائلة :

بالتأكيد سأحتاج يا عزيزى المغرور.

رفعت عيناها اليه.

- أشكرك .. وبالتأكيد سأزورك هناك.

ودعته بابتسامة أضافت إلى تأكيدها الزيارة المرتقبة.

ثم عادت إلى صدقى بك مرة أخرى بعد أن أنتهت من تصفيف شعرها وقد تسلل إلى صدرها أحساس بالرضى.. والثقة بأنها لم تفقد شيئا من سيطرتها على نفسها.. وعلى الاخرين.

كانت تدرك بأن لا يزال أمامها طريقا طويلا عليها أن تقطعه مع أيامها.. وتعلم أيضا أنها ستكون وحيدة بالرغم من كثرة المحيطين بها.. استطاعت أن تدرب مشاعرها على طاعتها.. بل دربت نفسها على أن تستغنى عن مشاعرها فى أية لحظة.

كان الحقد يطحنها كلما أنفردت بنفسها.. واتسعت رقعة الحقد فى اعماقها.. لم تعد تشمل أفرادا بذاتهم.. بدأت تكرس الحقد على انه سلوكا طبيعيا لمجتمع غير طبيعى.. الناس من حولها منافقون.. النفوس معقدة.. الكلمات كاذبة .. والشمس حارقة.. والقمر عين الليل الحاسدة.. والأطفال غير شرعيين.. والآباء قساه بلا رحمة فى قلوبهم.. لا قلوب لهم كل الزوجات خائنات..

والأزواج مجرمون.. السحاب أسود .. والفقر لعنة الحياة.

بهذه النفس الممزقة ..والاعماق التعسة.. عادت بوسى إلى القاهرة برفقة صدقى بك الذى استدرجته مشاعرة الفياضة نحوها إلى الأقتراب من اتخاذ قرارا حاسما بشأن تلك العلاقة الكبيرة.

اكتشفت بوسى لأول مرة أن صدقى بك متزوجا ولديه ابنا شابا وذلك منذ اللحظة الأولى لوصولها إلى القاهرة حيث صارحها بالحقيقة وبصعوبة البقاء معها كالعادة أغلب الوقت.. تقبلت الأمر بهدوء كبير وهو يكرر اعتذراته.. وكأنه أرتكب خطيئة فاحشة بزواجه السابق.. وما كان يجب أن يتزوج.. وأن يتوقع بأنه سيلتقى

بحبه الغالى.. اسعدها كثيرا أسلوبه فى الاعتذار.. رتب اقامتها المؤقتة فى فندق المريديان.. ولم تمضى أيام طويلة بعد عودتهما حتى بدأ بعدها فى تحقيق وعوده. وامانيها.. حتى تستقر نفسها.. وتطمئن اليه وإلى اخلاصه لها.

طلب منها ان تنتظره على مدخل الفندق.. جاءها بسيارته المرسيدس التى حدثها عنها وهما فى رحلتهما.. فقزفت إلى جانبه وتعمدت أن تمد ساقيها لتكشف عن فخذيها العاريتين تقريبا تحت فستانها القصير.. ولتكشف عن نظرته المتلهفة.. الجائعة.

أسبوع كامل لم تسنح الفرصة لكى يضمها فى احضانه ويرتشف من رحيق أنوثتها.. كانت مقابلاته لها تتم فى سرية تامة خوفا من أن يراه أحد وهى برفقته فتصل الهمسات إلى أسرته.. فباتت مقابلتهما أشبه بعلاقات المراهقة.

أما اليوم فقد جاءها على غير عادته.. والابتسامة المبتهجة على وجهه.

نظرت اليه فى حنان.

- هل لى أن أعرف إلى أين سنذهب اليوم.

جاءته الفرصة ليربت على فخذها ويتباطىء فى سحب يده. وهو يجيبها.

- عليك اليوم بتنفيذ أوامرى فقط.



داعبة أحساس بالزهو .. عندما قالت مستسلمة.

– أنت تأمرنى يا حبيبى.. وما على الا اطاعتك.

تأملته قليلا..

.. تأمرنى ايها المتصابى الصغير .. سأجعلك يوما تلعق ذكرياتك والآسى يمزق قلبك .. ولكننى سأطيعك يا كنزى العزيز.. سأمتثل لامكانياتك وأخضع لغبائك.

أوقف السيارة أمام بناء مرتفع الطوابق بالمعادى ثم التفت تجاهها قائلا :

– يمكنك يا حبيبتى الصغيرة أن تأتى معى لحظة.

كان يقفز على السلم فى شباب وسعاده وهو بين اللحظة والأخرى يحثها أن تلحق به.. استجابت لرغبته الصبيانية وفى الدور الأول دس مفتاح باب الشقة المواجهة وتبعته إلى الداخل.. قفزت خاطرة إلى مخيلتها بأنه استنفذ صبره على بعدها فأستعار شقة صديق له ليهدأ من رغبته الجامحة وأن كانت الساعة لم تتجاوز العاشرة صباحا.

ولكن سرعان ما تبخرت الخاطرة أمام كلماته .. وهو يضع فى كفها المفتاح قائلا.

– أرجو أن تقبلى هديتى يا حياتى.

صمتت فى ذهول .. ولم تسعفها أمالها .. وكأن كل طموحاتها انكمشت فجأة أمام مفاجأته .. فأردف.

- بوسى حبيبتى.. الشقة ملكك وحدك الآن .. اشتريتها لك بعد عودتنا مباشرة.. ولكنى أرجأت فكرة ابلاغك حتى يتم تأثيثها..

ثم دار حول نفسه يشير بيده.. واستطرد.

- عساها تعجبك يا غالية.

انطلقت مسرعة تجاه احدى الغرف كما لو كان قد مسها الجنون.. ثم عادت بنفس السرعة تقبله.. وعاودت الكره فى اتجاه آخر ثم عادت إليه من جديد بقبلة أخرى.. وفى الثالثة امسك بها فى عناق طويل.. فاستكانت فى صدره ورجفه عنيفة تشمل كيانها.. وأخرى مماثلة تدغدغ رغبته.

جذبته بشدة من يده.. تبعها هائما.. دخلت به غرفة نومها الجديدة وكأنه فى حلم دافىء.. رأها تتخلص من ملابسها بسرعة غريبة واستلقت على فراشها وفى عينيها نظرة فاترة.. أحجبت رغبته الثائرة عن ملاحظتها.. وهمست.

- اقترب يا حبيبى الوحيد.

وأقترب.

عيناها تدور من وراء كتفه تستطلع لون الطلاء.. والاثاث.. والثراء.. انفاسه فى اذنيها كالفحيح.

.. احبك .. احبك..

اعجبت بالصورة الزيتية المرفوعة على الجدار.

ضغط بأسنانه على عنقها فى نشوة.

.. ما أجملك .. أنت رائعة ..

تمنت لو أن الستائر المدلاه على النافذة تكون باللون الأحمر.. فهى تفضل الأحمر على البرتقالى همس برفق.

– هل أنت سعيدة يا غالية.

انتبهت لجسده.. ولثقله.

كأنها تذكرت ما يجب أن تفعله.

تأوهت..

سرت فى جسده قشعريرة عنيفة .. ثم سكن فجأة كأنه لفظ انفاسه الأخيرة.

تسللت من جانبه بهدوء.. دارت فى الحجرات من جديد وهى تتلفح بغطاء العرير.. كأن شيئا لم يكن .. عادت على صوته يناديها فاقتربت منه. كادت تضحك عندما سقطت عيناها على جسده العارى.. ولكنها تمالكت.. نهض بتثاقل. بعد أن القى نظره سريعة على ساعته .. ثم قال.



– يجب أن أعود .. فهم سينتظروننى على الغذاء.

لم تعلق .. وارتت ملابسها..

استطرت وهو يتأكد من ربطة عنقه.

– فى المساء سأعود اليك بالفندق لأحمل حقائبك إلى بيتك الجديد.

اجفلت عيناها .. تمنت لو يحل الليل سريعا.

ترددت لحظة أمام سيارته .. قرر ألا يركبها الآن.. امسك بيدها وهو يتلفت كأنه يخشى أن يراه أحد .. سارت معه مطمئنة..

انحرف خطوات قليلة داخل الجراج الخاص بالبناء.. تبعته مندهشة.. توقف أمام سيارة فيات .. قائلا.

– وتلك هديتى الثانية يا حبيبتى.

ابتسمت بفتور .. كما لو كانت توقعتها .. فلم تعد مفاجأة.. أوكأنها توقعت أن تكون سيارة أخرى.. مرسيدس مثلاً.

سألها بحنان.

– ما رأيك يا عزيزتى .. هل أعجبتك.

– أعجبتنى يا حبى .. اعجبتنى كثيرا.

حاول تقبليها ولكنه تراجع عندما لاحظ قرب الحارس منهما عاد إلى سيارته وهى تتعلق بيده.

وأمام ساحة الفندق.. أوقف محرك السيارة ثم استدار وهو جالس فى مكانه. امسك بحقيبته السامسونيت من فوق المقعد.. فتحها وهى تراقبة تناول منها مبلغا من المال.. مده اليها قائلاً.

– ستكونين فى حاجة اليهما.. اليك بهذه الألف مؤقتا.

احست بسعادة أمام الألف جنيه أكثر من سعادتها بالشقة والسيارة.. كانت الأوراق أمام عينيها ذات سحر غريب.. لم تتمالك مشاعرها وعانقته فى قبلة طويلة.

– اشكرك ياحبيبى.. أشكرك.

تخلص من غيبوبة القبلة.. ثم قال.

– قد لا أستطيع المرور عليك اليوم .. فأنتهى أنت من أجراءات الفندق.. وسأتى اليك صباحا فى شقتك.

لم تعلق .. أنشغلت بدس النقود فى حقيبتها الصغيرة.. ثم نزلت من السيارة وهى تودعه كالعادة بقبلة طائرة.

أنتظرته .. ولم يحضر.

ادركت منذ هذه الليلة صعوبة لقائه ليلا.. وازداد تأكدها عندما أخبرها بنفسه فيما بعد أنه لا يفضل أن يلتقى بها فى الأوقات المتأخرة حتى لا يثير شكوك زوجته وابنه.. وأكتشفت ما هو أكثر من ذلك.. حيث بدأت تفتقده فى لياليها الطويلة.. تحملت يوما.. واثنين .. ثم بدأت تخضع لسيطرة القلق.. شكت اليه وحدتها..ولكنها لم تجد

لشكواها صدى فى تصرفاته.. فازداد اضطرابها.. لا صديقات.. ولا أصدقاء .. لا شيء سوى وحدة قاتلة تتربع على عرش الامكانيات التى تحت يدها.

إلى أن جاءت ليلة من لياليها المقلقة واحست بالاختناق يضغط على صدرها. فاستقلت سيارتها وأخذت تقطع بها الطرقات بلا هدف.. وجدت نفسها فى شبرا حيث ذكريات الطفولة.. مزقها الحنين إلى والدتها.. عادت بائسة باكية.. توسلت للنوم فلم يستجب لها.. وقفت تراقب وحدة القمر فى الآفق.. كأنها تحاول مصادقته.. شردت مع السحاب الأسود وهو يزحف ببطء شديد يحجب القمر قليلا ثم ينقشع .. وفجأة .. استدارت مسرعة إلى دولابها.. تناولت ورقة صغيرة.. اتجهت للتليفون.. ادارت رقما.. وقبل أن تنتهى منه وضعت السماعة مرة أخرى.. واستقلت على فراشها فى شرود وسط رغبتها للنوم.

استيقظت صباح اليوم التالى على طرقات بالباب الخارجى للشقة.. نهضت بتكاسل لتجد صدقى بك يقف أمامها.. استقبلته بفتور واضح.. ومع ذلك كان عليها أن تدفع قسطا من المقابل.. ودفعته.

وبمجرد انصرافه.. اسرعت إلى الورقة مرة أخرى وادارت قرص التليفون.. وفى هذه المرة انتظرت لم تضع السماعة إلى أن أجابها عادل شوقى.. ذكرته بنفسها.. وبلقاء الصدفة فى سويسرا.. وفوجئت بترحيبه الكبير لحديثها.. عبر لها عن سروره لاتصالها..

وعن رغبته فى اللقاء بها .. فأيدته بلا تردد.. والتقيا حسب الاتفـاق.. احسـت برغبـة كبـيرة فـى توطيد العلاقـة بينهمـا. وفـى اللقـاء الثـانى اصطحبها إلى معرض سيارته.. وإلى دعوة لحفل عيد ميلاد أحد أصدقائه.. كانت الدعوة مغرية.. خاصة بعد ما علمت انها سـتقام فـى أحد الملاهى الليلية.. وافقت أيضا بلا تردد.

كان عادل شوقى وسيما فى صورته.. انيقا فى ملبسه.. لبقا فى حديثه.. ذكيا فى نظرته.. استطاع فى الحفل أن يكتشف. ما تعانيه من قلق فى نفسها.. اقترب من اذنيها هامسا.

- كيف حال والدك صدقى بك.

اجابت فى اقتضاب.. كأنها لا ترغب أن تتذكره.

- بخير..

اختصر الطريق إلى تساؤلاته .. قائلا.

- بوسى هانم .. أراك مكتئبة مضطربة.. هل...

ولكنه توقف عـن الحديث عندمـا تجاهلتـه عـن عمـد واشـاحت بوجهها عنه.. ثم امالت برأسها إلى أحد المدعوين.

- اترغب فى مراقصتى.

وقبل أن تتم كلماتها كان الشـاب الآخـر قد انتفض مـن مكانـه وكأنه يقطع عليها الطريـق للـتراجع.. وراقصتـه.. ثـم عـادت لتمكث



قليلا.. ولتأتى بغيره على المرقص.. إلى أن تهالكت بجواره من جديد فأثارت فيه فضوله.

– يبدو أننى أثقلت عليك بتطفلى.

فلاحقته كما لو كانت تخشى افتقاده.

– لا تكن مخطئا فى تصوراتك .. ثم لا تنس اننى بدأت الاتصال بك.

برقت عيناه ارتياحا . وضغط على كفها برفق.. استكانت مستسلمة.

كانت هذه الليلة بداية طرف خيط نسجت به علاقاتها المتعددة.. لم تعد تعانى من وحدتها كما كانت.. استعادت علاقتها مع الليل.. باتت تستجيب لاية دعوة.. بل أصبحت هى الأخرى صاحبة دعوة من خلال الالوف المؤقتة التى كان يغدق بها عليها صدقى بك. رجلها الكنز كما كانت تصفه مع نفسها.. وبالرغم من ذلك بدأت تمارس معه حقها فيما تشعر به.. فباتت ترضخ للمقابل بارادتها أحيانا.. وترفضه أحيانا أخرى.. تمنت أن تكون قد اتبعت معه ذلك الأسلوب منذ زمن بعيد، حيث ازدادت هداياه مع كل لحظة تمتع اعاشته فيها.

إلى أن فاجأها يوما بقلادة ذهبية.. لعلها تستجيب لرغبته فى لحظة من لحظات تمردها.. ولكنها لم تستسلم كعادتها.. ولم يقهرها بريق الذهب.. بل ازدادت اضطرابا.. وتمنعا.. مما اضطره



للانسحاب.. وهو لا يدرى أن تلك القلادة قد رفعت نتوأت السنون من فوق ذكرى بعيدة.. جاهدة طويلا من أجل التخلص منها.. يوم أمتدت يدها وسرقت قلادة صديقتها هدى.

القت برأسها على مسند المقعد كأنها تلقى بنفسها فى أحضان الماضى البعيد تسترجع من خلاله أحداث صدأت مع النسيان.

تحسست القلادة على صدرها .. ضغطت عليها كأنما تثبت ملكيتها لها.. بدت كالمسحورة وهى تستقل سيارتها واتجهت بها إلى الحلمية.. إلى هدى.

وهناك تبدلت كل تصوراتها.. لم تغلق الباب أمامها.. لم تصفعها على وجهها. ولم تشر باتهامها.. وقفت أمامها تتأملها فى صمت كأنها تبحث فى عينيها عما إذا كانت قد اكتشفت حقيقة السرقة.. ولكن الأخرى لم تدع لها تلك الفرصة حيث تلقفتها على صدرها.

- مستحيل .. لا أصدق عيناى.. بحثت عنك فى كل مكان.. أين كنت يا حبيبتى .. أنا..

قاطعتها وابتسامة مضطربة على شفتيها :

- هدى .. كيف حالك يا هدى.

جذبتها إلى الداخل .. جلست بجانبها تنصت إلى قصة اغترابها.. اقنعتها بأنها كانت تعمل فى الخارج .. فاجاتها هدى قائلة.

– ذهبت إلى منزل والدك أكثر من مرة.. ولكن أحدا منهم لم يفيدنى بشىء .. و ..

قاطعتها . بلهفة..

– كيف حالهم يا هدى .. أبى و .. أمى .. و ..

– كلهم بخير يا حبيبتى .. وهناك شىء قد يسعدك كثيرا.

رفعت عيناها متسائلة.. فأردفت الأخرى..

– علمت بأن عصام زوجك السابق على اتصال مستمر بهم. وعلمت أيضا أنه عاد بنفسه أسفا على أمل عودتك إليه.

وكأنها لدغت بلدغة عقرب ضال.. نهضت فجأة وقد اكفهر وجهها بأسارير الغضب..

– أرجوك ياهدى.. لا أريد سماع شىء عنه.

حاولت أن تصرفها عن حديثها.. فأردفت.

– لم تذكرى لى شيئا عن مدحت خطيبك.

تسلل إلى صدرها احساس بالرضى.. وافقت عليه بلا مقاومة.. حيث أجابت الأخرى وقد استقرت اسارير الأسى على وجهها فجأة.

– اكتشفت فى الوقت المناسب انه لا يستحق حبى.. علمت أنه متزوج .. وفى الطريق ليصبح أبا.

- لا تحزنى يا عزيزتى .. فالرجال كأمواج البحر.. ما تكاد موجه ترحل حتى تحل محلها الأخرى.

رمقتها باندهاش.. ثم همست.

- اراك تغيرت كثيرا.

استدارت تتأهب للانصراف.. ومدت اليها بالقلادة الذهبية قائلة.

- كدت انسى هديتك.. لقد اشتريتها خصيصا لك، ورجائى أن تقبليها منى.

ضمتها اليها شاكرة.. وقد اسعدتها القلادة.. بينما سكنت بوسى تتأملها عساها أن تكتشف شيئا يهدأ من شكوكها.. ولكنها فشلت.. اثرت الانصراف.. وما كادت أن تفعل حتى سقطت عيناها على كتاب استقر فوق المائدة.. فوقفت أمامه واقتربت بوجهها تتأكد من مؤلفه.. فسارعت هدى قائلة

- انتماء الغرباء.. ديوان للشاعر وحيد فهمى.

ثم ابتسمت بسمة واردفت.

- لفت نظرى ذلك الانتماء الغريب فاشتريته.

التفتت اليها كالمذعورة.. كأنها نظرت أمامها.. أو أمام كل ماضيها.. وأعادت الكتاب إلى مكانه بسرعة.. ثم قالت وهى منصرفة.

– الغرباء كثيرون يا هدى.. ولكن.. أين الانتماء.

لحقت بها هدى.. واحاطت وجهها بكفيها قائلة.

– أرجوك لا تتغيبى عنى كثيرا.. أنا فى حاجة اليك.

شردت فى همسة سريعة مع أعماقها.

الآن تبحثين عنه.. وكنت فيما مضى تنفرين من وجودى ما رأيك يا عزيزتى فى مخالب القهر التى تنهش فى قلبك.

قفزت ابتسامة باهته إلى شفتيها واجابت.

– سأعود يا صديقتى.. على الأقل لتخبرينى عما يقوله شاعرك الولهان وحيد فهمى عن الإنتماء.

صمتت برهة كأنها تتذكره.. واستطرت :

– والغرباء .. أيضا.

وانصرفت مع ضحكتها المجلجلة.. ودهشة هدى لتصرفها.

وفى الطريق إلى منزلها بدأت تبحث عن سبب يمكنها أن تقوله لصدقى بك حتى يقتنع بأنها قد فقدت القلادة.. لم تكن تخشاه بقدر ما كانت ترغب فى أن تقتنى مثيلتها .. فكرت فى أن تختلق أكذوبة تقول له أن أحد اللصوص قد غافلها وجذبها من فوق صدرها وفر هاربا.. ستبكى أمامه حزنا عليها. وليته سرق أى شىء آخر، ألا تلك القلادة

الغالية .. ليتها تعرف مصدرها لتأتى بمثيلتها سيربت على وجنتيها لمبلله بالدموع.. وسيأتى بالقلادة.

ولكن.. القلادة لم تأتى..

وصدقى بك هو الآخر لم يأتى .. ولم يكن فى إمكانه أن يأتى حتى لو رغب فى ذلك فقد أقتحمت عليه زوجته حجرة مكتبه.. وقد تراكمت كل غطرستها فى عينيها واسارير الغضب تغشى وجهها.. توقع الشر وهو يستقبلها بابتسامة باهته.. وقفت أمامه.. ثم اشاحت بوجهها عنه.. قائلة بهدوء ينذر بثورة البركان.

– كنت أريد محادثتك فى أمر يخصك.

اتسعت ابتسامته كأنه يخفف من حدة توترها.. ثم أجاب

– تقصدين يخصنا يا حبيبتى .. فأنا وأنت لابد .. و.

قاطعته بحزم وهى تسلط عليه نظرتها.

– قلت يخصك وحدك.

نهض من وراء مكتبه.. وقد اضطربت الابتسامة على شفتيه. ثم واجهها.. هامسا :

– أى أمر يا عزيزتى.

تركته وجلست على مقعد قريب.. ثم رفعت رأسها فى اباء.

- انصت إلى جيدا يا صدقى.. أنت تعلم أن مركز عائلتى.. ومركزى لا يسمح بالمهاترات.. وكذلك سمعة ابنك الوحيد.. أما أنت.

فلاحقها وهو يجلس أمامها.

- ماذا فى الأمر.. الأعمال على خير ما يرام.. والأرباح فى زيادة مستمرة.. والحسابات تصلك فورا وبشكل دائم.. فما سبب انزعاجك.

وقد أحس بنظرتها تكاد تفقا عينيه..

- يؤسفنى أن رجلا مثلك اقترب من الستين.. ولا يزال يهوى المراوغة.. والكذب.

انتفض فى محاولة للاحتاج.. ولكنه سرعان ما تراخى على مقعده مرة أخرى بصيحة أمرة منها :

- أجلس مكانك .. ولا تتحرك قبل أن أتم حديثى.. عندما وصلتنا أنباء علاقتك.. بفتاة أصغر من ابنك صفوت.. عاهرة.. قذرة لم أصدق.. وتأكدت من زواجك منها أيضا.. ولذلك.

قاطعها وحشرجة الاضطراب تعبث بصوته :

- أرجوك صدقينى أن هذا افتراء.. كيف تظنين أننى .. أقصد كيف تتصورين أن يحدث منى هذا .. أنا أحبك.. أنا .

- صدقى.

تسمر فى نظره بلهاء.. واستطردت.

– اياك أن تتصور أن فى مقدورك خديعتى.. فأنا منحتك أموالى.. وحق إدارة شركاتى لكونك زوجى وأب لإبنى.. أما الآن فابتداء من غد سوف.

ولكنه قفز تجاهها فزعا.

– لا أرجوك.. لا تحطمى كيانى أمام الآخرين.. أقسم لك أننى لم أتزوج.. انها اشاعة كاذبة.

– أنت كاذب.

تلقاها فى صمت .. بينما نهضت هى واستدارت تجاه الباب ثم توقفت ملتفته اليه فى حزم.

– سترى إنك لن تستطع خداعى.. سيصل الأستاذ عبدالقادر سكرتيرك يا صدقى بك .. سيصل ومعه كل الحقائق.

ردد بهمس.

– هو اذن .. الذى ..

لاحقته .. ساخرة.

– أجل هو يا صدقى بك.. سكرتيرك.. ولكنك غفلت عن شىء هام.. هو انه يا عزيزى يقبض مرتبه من أموالى.. وسوف ترى ماذا.

ولكنها توقفت عن الكلام.. واتجهت مسرعة إلى خارج الغرفة عند سماعها صوت سكرتيره عبدالقادر وهو يستفسر عن تواجدها.. سرعت إليه قائلة فى قلق.

- هل احضرتها.

أومأ الرجل برأسه بتأدب .. ثم أجاب :

- هى بالخارج .. فلم تكن بالمنزل عندما ذهبت اليها.. واضطررت لانتظارها.

- ادخلها .. ادخلها فورا.

ودخلت بوسى لتفاجىء بزوجة صدقى بك تنتظرها.. أدركت من فورها أنها قد وقعت فى مأزق مدبر .. التفتت بنظرة سريعة تجاه السكرتير الذى أبلغها بأن صدقى بك طريح الفراش ويرجوها بالحضور.. خاصة وأن زوجته وابنه فى أجازة خارج البلاد.

أحست بالدماء ترحل عن وجهها عندما فحصتها الأخرى من منبت شعرها إلى أخمص قدميها ثم قالت بجفاء.

- انصرف أنت يا أستاذ عبدالقادر.

وجهت الحديث اليها.

- تفضلى... صدقى فى انتظارك.

كانت فرصة لكى تتأملها بوسى وهى تتقدمها إلى داخل المكتب.. كانت بدينة بعض الشىء..متوسطة الطول.. قصيرة الشعر.. لها عينان كالصقر.. وأنف متغطرس..

كادت الدهشة أن تصعقه عندما رآها.. تسمرت عيناه على زوجته التى اتخذت لنفسها جانبا بعيدا.. تراقب الموقف فى هدوء مثير.. تمالكت بوسى قبل أن تبدأ كلماتها متساءلة.

- هل لى أن أعرف معنى هذا.

وبفتور كبير تسللت ابتسامة تهكم على شفتى الزوجة .. ثم قالت:

- أعتقد أن من حقى أنا أن أعرف.. ولذلك جئت بك إلى هنا.. إلى منزلى.

مضت لحظة صمت قاسية.. وفجأة أندفع صدقى بك نحوها بخطوات مرتبكة.. متوسلا باستجداء.

- صدقينى.. ليس بينى وبينها أية علاقة .. أو رابطة.. انها .. انها مجرد معرفة فى رحلتى السابقة.. كانت فى حاجة إلى مساعدة .. وقد..

قاطعته.

- ألا ترى أنه أمر مخجل أن تساعدها من أموالى يا صدقى بك.

طأطأ رأسه أمام عيني بوسي وهي تراقب حديثه.

يالك من طفل جبان.. تقف أمامها كالفأر المذعور.. وتتنكر لي بعد كل وعودك.. أنت موظف عند هذه المرأة العجوز.

التفتت الزوجة اليها.. وهي لا تزال تحتفظ بنظرة الاحتقار لها.

- يمكنك أن تستردية الآن .. وأعدك بأنني لن أطالبه بقيمة البدلة التي يرتديها أمامك.

تدخل صدقي بك.. والفزع يملأ عينيه.

- أقسم لك .. انني لا أكن لها أي شعور.. وليست تعنيني في شيء.

صمتت الزوجة برهة وتنقلت بنظرتها عليهما.. ثم توجهت إلى بوسي قائلة :

- كان يجب عليك أن تستفسري أولا عن مصدر المبلغ المدفوع نظير بيع جسدك لامثاله. والآن اغربي عن وجهي والا استدعيت لك الخدم يقذفون بك إلى الطريق.

وكأنها كانت تتحين الفرصة لتتخلص من ذلك المأزق المهين فما كادت المرأة تنتهي من كلماتها حتى هرولت مسرعة إلى خارج الفيلا.. وانطلقت بسيارتها ودموع المزلة تكاد تحجب عنها الرؤية.

لم تبك من أجل ذلك الموقف المخجل الذى وقفته بين يدى الزوجة.. ولا ثأرا لكرامتها الذبيحة بل لم يخالجها خاطر بنتيجة فقدانها لموردها الأبلة.. فهى قد تأتى بغيره قبل عودتها إلى منزلها إذا أرادت .. ولكنها بكت من أجل شيء آخر.. كانت دموعها دموع ماضى بعيد عاش فى أعماقها بين جفون الذكريات يوم ركعت أمام قدمى شقيق زوجها.. وقبلتها فى مذلة.. ولكنه أبى أن ينصت اليها.. حرمها من حياتها المستقرة.. جعلها على طريق ليل طويل.. ليل بلا قمر.. استنفذت فى ظلمته كل مشاعر الحب.. والوفاء.. وباتت تلعق حزنها.. وحسرة قلبها.. وتحيلهما حقدا دفينا يسرى فى عروقها بلا رحمة.

من أجل هذا بكت بكاء غير كل بكاء.. كأنها طقوس عالم آخر.. سماؤه صخرية.. ويغلى ببراكين الغضب.. ثماره نضجت على رحيق العلقم.. حصاده حقد بأنياب سوداء امتلأت نتوءاته بسموم الكراهية.. عالم غريب قد يضل فيه بعض رعاياه الطريق.. ويجدون أنفسهم بين أناس مختلفين.. وفى واقع آخر بعيد عن أعماقهم.. بعضهم قد يذوب.. والبعض الآخر يبحث مع الأحداث.. ولا يعود الا بدموع الغفران.. أو حفل الألم والندم.. فكان بكاءها قربانا لعودتها.

وعادت.. تزحف من جديد على القلوب الخضراء فتجعلها جرداء.. هزيلة.. تمتص من رحيق الأمل وطموحات الشباب فتبدو بصمات شفتيها على خريف الأمل. ولتشبع عيناها أمام مصرع الطموح وذبول الشباب.



اختفت عن عادل شوقى اسبوعا أو أكثر .. وهو يزدرد قلقة عليها وحيرته لاختفاءها فجـأة. شرنقت نفسها فى رحلة مع البيات الشتوى لاحزانهـا.. كأنهـا أثرت أن تلملم جراحاتها الجديدة قبل أن تنطلق مرة أخرى على طريق الإنتقام.. وما أن اجترت ما يكفيها من كراهية على فريستها الجديدة حتى قررت العودة إليه .. ولم تغفل عن تأبين ذكرياتها القريبة أمامه.. ولصالحها .. حيث أبلغته بأن والدها صدقى بك عبدالوهاب.. قد توفى.

وعلى مقبرة الماضى كانت بداية ليال جديدة معه .. لم تجد صعوبة فى اختلاس مقاومته.. كان هادئا فى استسلامه.. سعيدا بقيوده.. هائما مع أحلامه.. هى أيضـا لم تبخل عليه فى ازالة كل العوائق التى تمهد له طريق الوهم الذى اختاره ليصل اليها.. خلعت سواد الحزن على والدها، وارتدت له لون الحب.. والسعادة. وافقته فى احلامه.. واحتضنت معه أماله.. حلقت به إلى أفق الحنان .. والرغبة.

كان سعيدا مبهورا .. هائما بحبه.. فأفسح لها الطريق إلى أعماقه.. فصالت وجالت بها كما شاءت .. أدركت عنه كل شىء.. عن حياته الخاصة وزواجه الحديث من ابنة عمه.. عن امكانياته المادية التى دفعتها فيما بعد لأن تتذكر والدها الراحل.. وأن تتزين مرة أخرى بهالات الحزن تحت جفنيها.. وأسارير الألم على وجهها.. هذه الإمكانيات جعلتها لا تستطيع البقاء فى نفس الشقة.. فكل شىء فيها يذكرها بوالدها الحبيب.

حتى سيارتها باتت تقلب عليها مواجع ذكراه العزيزة.

لم يرض الحبيب الولهان أن تتمرغ فى ذلك العذاب الذى يؤرق وحدتها .. ولا للحزن أن يقترب منها من جديد.

فكانت الشقة الجديدة.. بالزمالك.. واثاثها الجديد الفاخر.

وكانت أمنية العمر .. السيارة المرسيدس.

فعادت الابتسامة مرة أخرى على شفتيها.. وانطوت ذكرى أبيها مع طيات النسيان.. وانسحبت الهالات السوداء بعيدا عن جفنيها.. وتوردت وجنتاها.. لتتفرغ لقصة الحب الجديدة.. أو لفريستها الغافلة.. ولكنه تفرغ مدرب.. لم تعد بالسذاجة لكى تنتظر الأشياء بل دأبت على أن تسعى إليها بنفسها.. وتفننت لامتصاص أمكانياته بشتى الطرق.. أضافت رقما جديدا غير أرقام السيارة. والتليفون.. رقم الحساب فى البنك.. عرفت الطريق إلى الرحلات السياحية برفقته.. وبغير رفقته.. كما عرفت الطريق إلى قراره.. حيث بادرها فى لحظة حب قائلا.

– بوسى .. ترددت كثيرا قبل أن أفاتحك فى أمر يخصنا.

أحاطته .. بنظرةحنان .. وتساءلت.

– أى أمر يا عادل.. فأنت تعلم مكانتك جيدا فى قلبى.

ازداد أطمئنانا .. وبلهفة.



- هل تقبليني زوجا وصدقيني يا بوسى انك لن تندمى.

قاطعته بدهاء.

- ولكن..

ثم أشاحت بوجهها عنه كأنها تحاول أن تخفى حيرتها.. وأردفت.

- ولكنك متزوج .. و..

لاحقها .. مبتغيا أرضاءها..

- ولكنى أحبك .. ستكونين أسعد زوجة فى الوجود.. سأمنحك من وقتى .. وأموالى .. وحبى..

اقترب من وجهها .. متلهفا لموافقتها .. ثم استطرد .

- أرجوك أن توافقى .. أنا أعلم انك ستواجهين بعض الصعوبات لاقناع أسرتك.. والدتك بالذات لكونى متزوج.

غابت فى لحظة شرود مع نفسها .. ورددت فى صمت.

.. أسرتى .. أين هى تلك الأسرة.. لو كانت لى حقا ما كنت الآن أمامك.. ولكنه قدرى الذى شاء أن أكون كيانا بلا ظلال.. خطوات بلا طريق.. كالنبتة الشيطانية.. والنجمة الضالة فى آفق الحياة.

همست إليه بنبرة خفيضة.

– عادل .. أنا فى حاجة لقضاء وقت مرح .. أشعر بالاختناق وبشىء من الملل.. ثم رمقته بنظرة ماكرة قبل أن تسترسل.

– إذا كنت منشغلا مع زوجتك اليوم.. فيمكننى أن أذهب بمفردى إلى أى مكان.

ضغط على كفها برفق.

– لا شىء فى الدنيا يشغلنى عن تحقيق رغباتك يا بوسى.

شعر عادل شوقى بأنها لا ترغب فى اتخاذ قرار فورى .. ولم يتوقع منها إجابة سريعة كان موقنا بأن عليها تمهيد الأمر مع أسرتها أولاً.

فسكن صامتا وهى تجلس إلى جواره بالسيارة.

الحادية عشرة مساء.

ولفحة الصقيع بدأت تعترض طريقها.. التفت نحوها التفاتة سريعة فوجدها شاردة مع القمر كأنها فى حديث متصل معه .. تمنى أن يقطع عليها حديثه الغامض.. ولكنه تراجع عن أمنية.. لعلها تفكر فى زواجها منه.. ربما تتخذ قرارها بعد رحلتها مع الصمت.

انتبه فى نشوه إلى صوتها.

– ما رأيك لو نسهر الليلة معا.

كادت الفرحة تنطق فى عينيه .. وأجاب.

– لو أنتظرت لحظة واحدة .. لكنت سبقتك إلى هذه الرغبة.

انحرف بالسيارة إلى طريق الملاهى الليلية..وأمام أحداها دخل برفقتها متأبطـا النشوة مع ذراعها. وما كادت تجلس بجانبه حتى تشنجت أوصالها وملأت الدهشة عينيها.. وقفـزت إلى ذهنها أحداث ماض بعيد .. أحست برأسها يدور فى تشتت.. وقشعريره باردة شملت جسدها.. حاول أن يستفسر عن سر ارتباكها.. سمعتها تهمس إلى نفسها.

– مستحيل .

التقت عيناها بعين فايزة التى كانت تجلس إلى المائدة المواجهة لها.. وما كادت تراها حتى تسللت من مجموعتها وأتجهت نحوها متشككة فى تخيلها.. وما أن أقتربت حتى أندفعت نحوها فى لهفة وشوق.. وكأن شيئا لم يكن فى السابق.. وأستسلمت بوسى لقبلاتها والدهشة تسيطر على فكرها..

– بوسى .. مستحيل .. تكونين فى مصر ولا تسألين عنى.

ثم التفتت تجاه عادل ... واردفت.

– نحن أكثر من شقيقتين.

ابتسم مجاملاً.. وبلا تردد.. أجاب.

– تفضلى.. يسعدنى رؤيتك.

تمالكت بوسى قبل أن تبدأ حديثها قائلة.

– كيف حالك يا فايزة .. و ...

– لا .. لا ... يا عزيزتى .. لن اعاتبك الآن .. سيكون لى معك حديث آخر.

مضت ساعات السهرة متوترة بينهم جميعا.

ثم كان الحديث الآخر فى صباح اليوم التالى .. التقت بوسى بها حسب الموعد المتفق عليه.. فوجئت بما تعانيه فايزة من شقيقتها هيام .. أحست بارتياح كبير وهى تنصت لشكواها.. ذكرت لها كيف ثارت هيام عليها .. وكيف حملتها نتيجة تصرف بوسى معها فى باريس، بحجة أنها السبب فى معرفتها بها .. وذكرت كيف تركتها هيام فى باريس دون مساعدة ، مما أضطرها لأن تلجأ إلى الشاب الثرى .. وتقترض منه قيمة تذكرة العودة.

توقفت عن السرد .. وتساءلت.

– ولكن .. لست أدرى ما الذى دفعك لهذا التصرف يا بوسى؟!

القت بوسى نظرة بعيدة كأنها تتذكر السبب أو تبحث عنه ثم أجابت بهدوء تحدده نبرة متكبرة.



- حاولت هيام أن تتاجر بكرامتى .. ففزت بالمشترى قبل أن تبيعنى له.

صمتت برهة .. تراقب تأثير كلماتها .. ثم أردفت.

- على كل حال أنا لازلت أعتز بصداقتك .. هـه .. ما رأيك لو أكملت حديثك يا عزيزتى..

وأكلمت فايزة .. وذكرت لها كيف لجأت إلى هيام بعد عودتها وهى ذليلة النفس.. وتحملت تهكمها ومزيدا من فرض سيطرتها.. تحملت غطرستها وحبها لنفسها فى سبيل أن تحتفظ بمظهرها.. وتجنبا لكيدها التى عرفت به.

كانت بوسى تنصت اليها باهتمام بالغ.. جاهدت بصعوبة أن تخفى مشاعرها المبتهجة من خلال نظرتها المندهشة أو همسات الاستفهام.. والتعجب بين اللحظة والأخرى. كانت سعادتها بالغة لأنها استطاعت منذ ذلك اللقاء أن تستقطبها إلى نفسها لتمارس عليها كل رغباتها المكبوته تجاه هيام.. باتت تصطحبها معها فى كل سهراتها .. وهى تتعمد اذلالها بطريق غير مباشر.. دعتها إلى منزلها لتستمتع بحسرة قلبها وهى مشدوهه إلى الاثاث الفاخر.. وفى كثير من الأحيان كانت علاقتها تأخذ شكلاً آخر حيث تتعلل بوسى بالأرهاق لتقوم الأخرى على خدمتها وفى مقابل ذلك لم تبخل بالتضحية ببعض الهدايا.

وفى أحدى زياراتها فاجأتها فايزة بسؤال تصورته عابرا.. حيث فوجئت بوسى بها قائلة.

– ألا ترغبين فى عودة العلاقات بينك وبين هيام.. أنا على موعد معها اليوم فى منزلها.

حاولت أن تجيب بفتور كاذب.

– وهل تقبل هى .. دعى الظروف تجمعنا.. وقد يحدث قريبا.

لم تعلق فايزة .. اتجهت إلى التليفون كأنها تذكرت شيئا هاما.. أستأذنتها فى استعماله واتصلت بهيام.. أخبرتها انها فى الطريق إليها.. وأن ظرفا ما حال دون مجيئها فى الموعد .. استغلت انشغال بوسى فى ترتيب بعض الزهور.. وهمست بشفتيها قائلة.

– لدى مفاجأة سأخبرك بها عند حضورى.

الحت الأخرى لمعرفة المفاجأة .. فأضطرت لأن تلمح بأنها قد التقت ببوسى مصادفة فى الطريق صباح اليوم .. ولكنها سرعانما أعادت السماعة مرة أخرى لتنهى الحديث بينهما بعدما قذفتها هيام بالسباب والثورة.. وحذرتها من أن تلتقى بها مرة أخرى حتى ولو كانت مصادفة.

انتبهت بوسى للتغير الذى طرأ على وجه صديقتها بعد حديثها التليفونى .. فاقتربت منها قائلة.

– لو كنت أعلم أن حديثك سوف يؤلمك هكذا لكنت منعتك أهو حبيبك .. أم صديقك أم .. قاطعتها الأخرى بارتباك كبير..

– لا هذا ولا ذاك.. أنها صديقة قديمة .. تأثرت من حديثها حين ذكرت لى ظروفها السيئة.

أجابت بوسى باقتضاب.

– الحياة مليئة بالظروف السيئة .. و ..

ولكنها توقفت عندما نهضت فايزة فجأة من أمامها.. وطلبت الانصراف وهى تعدها بأن تزورها فى أقرب وقت.

كانت بوسى هى أيضا مرتبطة بموعد هام .. وجديد.. موعد تسد به الفراغ الذى يتركه عادل شوقى عندما يكون بجانب زوجته.

انصرفت فايزة وهى تتأهب لاستقبال مزيدا من اللعنات والهياج من أختها .. وبالرغم من كل الاحتمالات.. ذهبت مقهورة.

وهناك فى فيلا هيام أكتشفت خطأ كل توقعاتها.. حيث استقبلتها الأخرى بعتاب رقيق لأنها تأخرت بعض الوقت.. ثم جذبتها برفق من يدها للداخل .. وقبيل أن تصل إلى الحجرة الشرقية همست فى اذنيها بنبرة أدركت معناها جيدا.

– لدينا ضيوف على الغذاء بالداخل.. يستحسن أن تراجعى مكياجك قبل أن تدخل.



أنتعشت فايزة لاستقبالها اللطيف.. وللضيوف.. فذلك معناه أنها سوف تستكمل قيمة التليفزيون الملون التى تمنت طويلا أن تضيفه إلى شقتها.

راجعت على مساحيق وجهها .. وقدمتها هيام للضيفين ثم انسحبت لترى صاحب الطرقات الخفيفة على الباب.

وفجأة انتفضت فايزة على صوت هيام وهى تشهق شهقة مفزعة وقبل أن تفكر فى أن تهرع اليها لتكشف حقيقة الأمر.. وجدت الحجرة محاصرة بشرطة الآداب الذين هاجموا الفيلا بعد مراقبة طويلة.

تسمرت فى مكانها كالمذهولة وهى ترى هيام تعود اليهم برفقة أحد رجال الشرطة.

وفى داخل سيارة الشرطة أنتبهت هيام على همسة من فايزة وهى تردد.

- لقد فعلتها العاهرة.

التفتت اليها وفى عينيها كل علامات الاضطراب .. والفزع.

- ماذا تقصدين .. من هى؟!.

ولم تجد فايزة مفرا من أن تبوح لشقيقتها بكل شىء.. فذكرت لها قصة مقابلتها ببوسى.. حتى اللقاء الأخير والمكالمة التليفونية.

وفجأة تلقت صفعة قوية على وجهها وهى تردد.

– أنت مصدر شقائىدائما.

طأطأت رأسها فى آسى ثم اردفت.

– سأعرف كيف انتقم منها .. تلك القذرة بوسى.

بدأت الشمس تأفل عند عودة بوسى إلى منزلها، بعد أن قضت وقتا مرحا مع الصديق الجديد صاحب دعوة الغذاء.. كانت سعيدة لاجتيازها شروط العلاقة، أدركت بخبرتها صلاحيته كرصيد احتياطى يمكن الاعتماد عليه إذا ما عاندتها الأيام.

وفى طريق العودة لاحظت إنها قريبة من معرض سيارات عادل شوقى .. ولم تمانع رغبتها فى السؤال عنه. خاصة وانها لم تره منذ ليلتين وما كاد أن يراها حتى قفز من وراء مكتبة فى لهفة وشوق لاستقبالها.

– بوسى حبيبتى .. كم كنت قلقا عليك.. ذهبت اليك اليوم ولم أجدك.. أين..

قاطعته بابتسامة ساحرة.

– كدت أجن لغيابك عنى.. بحثت عنك فى كل مكان يحتمل تواجدك فيه ثم قررت الحضور اليك هنا .. اعذرنى إذا ..

ولكنه سارع بقوله وهو يحيط وجهها الصغير بكفيه.



– ابتداء من اليوم يا غالية لن يكون بيننا فراق .. لقد انتهت كل مشاكلنا يا حبيبتى.

صمتت فى نظرة مستفسرة... فأستطرد وهو يضمها برفق.

– لن يشاركك أحد فى حياتنا .. لقد انفصلت عن زوجتى وأنا الآن جاهز للتقدم إلى أسرتك.

انسحبت من بين كفيه وقد هزتها المفاجأة .. وتلعثمت الإبتسامة على شفتيها ثم أجابت وهى تستجمع اتزانها.

– عادل .. عادل حبيبى .. الآن فقط تأكدت من حبك لى ..

لا أعرف ماذا أقول لك ... السعادة غمرتنى والجمت لسانى أنا.. أنا.

وفجأة استدارت مسرعة إلى سيارتها .. وانطلقت بها عائدة إلى منزلها.

لم تكن تتوقع منه ذلك التصرف.. ولم تضعه لحظة فى حسبانها ... ولهذا اعتراها الارتباك فجأة .. وآثرت هروبها من الموقف حتى لا تتورط فى المزيد من المواقف الحرجة.. فهى تعلم انها لن تقبله زوجا .. ولو امتلك أموال الدنيا .. هى لا تريده زوجا يحد من رغبتها .. أو يقيد نزواتها .. فيقطع عليها طريق الانتقام.

تريده معذبا إلى قمة الألم .. حائرا إلى نهاية القلق.. سخيا لحد الإسراف .. ابلها لدرجة الجنون.. تريده حطاما، لا قويا باستقراراه.. تريده أن يتخذ مكانه إلى جوار كل من سقطوا على طريقها متأثرين بجراح الغدر.

ولذلك لم تجد حلا أفضل من هذا التصرف.

أوقفت محرك سيارتها أمام منزلها .. همت بالنزول إلا إنها تراجعت مضطرة.. عندما فوجئت بأحد ما يدس رأسه من خلال النافذة قائلا :

- حضرتك مدام بوسى.

قفزت إلى عينيها نظرة متغطرسة ثم أجابت.

- أجل .. ماذا فى الأمر.

تراجع برأسه قليلا ثم أجاب بحزم.

- سيادتك مطلوبة لمكتب الآداب.

سرت فى جسدها رجفة عنيفة .. وهمست بحلق جاف.

- لماذا؟!

أجاب ببرود.

- للشهادة .

ردت بتوتر بالغ.

- أى شهادة ؟!

- لست أدرى.. كلفت بأحضارك فقط.. تسمحى.

وهو يشير إليها بالنزول من سيارتها .. التفتت للاتجاه الآخر.. لاحظت سيارة الشرطة منتظرة.. وذابت الغطرسة من عينيها .. ثم قالت بتأدب.

- أتسمح أن ترافقنى بسيارتى.. وتأمرهم بالإنصراف.

قادت السيارة باضطراب واضح .. لم تعد قادرة على التحكم فى عجلة القيادة .. بات الطريق ضبابيا أمام عينيها.. أحست برغبة كبيرة فى البكاء.. تقلصت احشاؤها تمردا على ما بداخلها.

يا الهى .. ماذا يكون الأمر.. تراها تلك العجوز زوجة صدقى تقدمت بشكوى.. أم أحد جيرانى.

حاولت أكثر من مرة أن تستوضح شيئاً من الشاب الذى بجوارها ولكنه كان ينفى باستمرار معرفته بأى شىء.

فتعود إلى شرودها من جديد.

أتكون فايزة .. أو ..

وصلت أمام المبنى.

بدأت تصعد درجات السلم برفقة الآخر إلى الدور الرابع فى تثاقل غير متعمد.. فلقد ذابت قواها فجأة .. واضطربت مشاعرها مرة واحدة.. وتسمرت نظرتها إلى لا شىء .. فبدت وكأنها فى الطريق إلى حبل المشنقة.

وقفت أمام وكيل النيابة المحقق. وهى تجفف حبات العرق التى طفحت على وجهها بارتباك شديد.. تأملها فى لحظة تساوت فى احساسها مع سنين عمرها ثم بادرها قائلاً.

– ما هى معلوماتك عن هيام السيد؟

.. هى اذن ..

ترددت برهة ثم اجابت.

– لا أعرف شيئا عنها.

رمقها بنظرة خاطفة.. ثم تصفح الأوراق التى أمامه.. قائلاً.

– ألسيت صديقتك ؟

– كنت صديقة لاختها .. و ..

لاحقها قائلا.

– ما الذى بينك وبينها.

حاولت أن تزدرد ريقها فلم تجد .. ثم اجابت.

- لا شيء .. فأنا .

ولكنها توقفت عن الكلام عندما انشغل هو عنها فى تشغيل جهاز تسجيل أمامه.. أحست بصدرها يطبق على أنفاسها عندما ترامى إلى اذنيها صوت هيام وهى تتوعدها فى حديثها التليفونى الأخير مع فايزة.. وتكيل عليها السباب.. وهى تحذر شقيقتها منها.. وتذكرها بهوايتها لخطف الرجال.

قفل التسجيل بهدوء.. ثم رفع رأسه اليها قائلا :

- اعتقد أنه لا داعى للمراوغة الآن.. ومن الأفضل لك أن تتحدثى عن كل شيء.. كما أن أمامى اعتراف كامل من الأختين بأنك واحدة من أعضاء شبكتهم البارزين.

فلتت منها صيحة متهالكة.

- هذا افتراء منهما .. كذب.

نهض من وراء مكتبة بتؤدة.. ثم أشار إليها قائلا.

- يمكنك أن تجلسى.

جلست ورجفة تسيطر على شفتيها.. بينما اردف هو.

- معلوماتنا تفيد بأنك تملكين سيارة مرسيدس.. وشقة فاخرة.. كما كنت تملكين فى السابق سيارة أخرى.. وشقة ثانية.

اقترب بوجهه نحوها مستطردا :

- هل لك عمل خاص.

- لا .

- اذن .. هل لى أن أعرف مصدرها.

لم تستطع أن تتفوه بكلمة واحدة.. مكتفية بنظرة هزيلة إليه استدار إلى مكتبه من جديد .. ضغط على جرس تحت اصبعه..جاءه أحد الجنود فأمره قائلا.

- أحضر لى المتهمة الأولى.

ومرة أخرى بعد غيبة طويلة وجدت بوسى نفسها وجها لوجه أمام هيام التى جلست فى مواجهتها وقد بدا عليها الاصرار.. والغضب.. بينما توجه وكيل النيابة بحديثه اليها قائلا.

- ذكرتى بأن المدعوة بوسى تمارس معك الدعارة.

ومن خلال ذهول بوسى.. أجابت الأخرى.

- نعم.

- وبأنها تستدرج الفتسيات المراهقات إلى العمل معكم..

قاطعته بإصرار.

- هذا حقيقى.

التفت إلى بوسى فجأة .. قائلا.

- ما رأيك الآن؟!

لم تعد قادرة على فهم ما يدور حولها .. أحسـت بتدفق الدماء إلى رأسها .. حتى كادت أن تفقد بصرها .. أنتفخت عروق رقبتها كأنها تتحين الانفجار.. فقدت كل أحساس بالمسئولية.

أحست بأعماقها ترتفع على فوهة بركان الحقد.. والتهمت نيران الغضب كل محاولة للاحتفاظ بأتزانها.

غافلته مندفعة تجاه هيام.. وبكلتا يديها ضغطت على عنقها وهى تصرخ صرخات هستيرية.

- أنت كاذبة .. كاذبة.. سأقتلك.

وبصعوبة كبيرة استطاع بعض رجال الشرطة أن يخلصوا الأخرى من قبضة يدها التى تشنجت على رقبتها.

وأمرهم المحقق بأن يعيدوا بالمتهمة الأولى إلى حيث كانت.. ثم جلس بهدوء إلى مكتبه.. والتفت إلى كاتبه.

- يقفل المحضر.. لحين استدعاء والد المتهمة للتحقق من مصدر أموالها.

ثم اردف إلى أحد الجنود.

- خذها..

– استدرات معه منصرفة.. بخطوات متهالكة.. تنتفض كما لو كانت قدأصيبت بحمى.. نظرتها زائغة كالمعتوهة.. وقد انتكش شعرها الطويل .. واصطكت أسنانها هلعا.. تلفتت .. أحست بالعيون تخترق جسدها.. ترامى إلى اذنيها ضحكة ساخرة من إحدى فتيات الليل وسط مجموعة فى انتظار التحقيق معهن.. شعرت بيد الشرطى تدفعها بين اللحظة والأخرى يحثها على مواصلة السير على الممر..

أحست بها أسنة حادة تمزق كتفها.

سيأتون بأبى .. ماذا سيقولون له.. ماذا سأقول أنا.. سيعرف كل شىء.. سيسألونه عن مصدر أموالى.. بماذا سيجيب.

يقول أنه من باقى دخله الشهرى الذى لا يتجاوز الستون جنيها.. سيسعد بأن ابنته الشريفة.. الجميلة .. باتت تملك المرسيدس.. وأمى المسكينة ماذا سيحدث لها.. سيأكلها الناس بألسنتهم.. لا أحد يريد أن يسمعنى .. أنا بريئة.. سيقتلنى أخى.. لابد وأنه سيقتلنى بمجرد مجيئه.

شهقت فزعة عندما أحست بقبضة الشرطى تمسك بيدها وتنحرف بها تجاه السلم.. ثم تبعها بلكزة خفيفة بحكم العادة.

كل الناس ستعلم بقصتى.. صورتى ستتصدر الصحف.. ستأطىء رؤوس أسرتى إلى الأبد .. مستحيل أن يأتى أبى إلى هنا ويرانى.. مستحيل أن أواجه أخى مرة أخرى.. يجب أن أموت.. ستموتين بأية طريقة.. يجب أن أموت .. يجب أن..

وأندفعت فجأة من بين يدى الشـرطى.. لتقفـز مـن خـلال نـافذة السـلم الداخلـى وتستسـلم للفحـة الفـراغ ثـوان قليلـة.. ويرتطـم جسـدها النحيـف بـالأرض.. مخترقـا كوخـا مـن القش لأحـد بـائعى الفاكهـة.. سكنت فى لحظة وعى .. أحست خلالهـا بدفـىء الدمـاء المتدفقـة مـن فمها وأصوات متداخلة حولها.

لقد ألقت بنفسها من الدور الرابع...

.. أعتقد الخامس ..

.. مسكينة .. لا زالت فتاة شابة .. وجميلة ..

.. يغفر الله لها ويرحمها ..

ويتدخل بعض المتفائلين ..

اغيثونا بسيارة أسعاف .. لا يزال قلبها ينبض ..

.. و .. غابت عن الادراك.

-٥-

أربعة أيام مضت .. وعيون اعياها الفزع تراقب فى قلق.. حكم القدر على نبضات قلب.

وقف والد بوسى يبحث بعينين دامعتين عن شق فى رداء الجبس الذى سكنت بداخله ابنته .. كأنه يود لو يتأكد فقط من انها ابنته.

لا شيء واضح سوى شفاة ذابلة وجفون ملتصقة بدت بلا حياة حاولت أمها أن تتحسس بيد مرتجفة ذلك الجدار الخشن الذى طوى جسد ابنتها كاملا .. ولكنها سرعان ما سحبتها إلى فمها لتميت صرخة على شفتيها كادت أن تمزق صمت الحزن الذى خيم عليهم جميعا.. بكت بلا انين مستسلمة لأحزانها.. رأت أبنتها وعظامها المهشمة.. وقد أحيطت بستار الجبس من أصابع قدميها حتى عنقها الذى استسلم إلى رأسها المقيدة بقبضات حديدية تحاصر فكها المتهتك أثر أرتطامها بالأرض.

وفجأة انتبه الجميع إلى أنات هامسة أصدرتها بوسى التى تشكتت فى يقظتها عندما لمحت وجه أبيها الشاحب.. كأنه يتوسل إليها أن تحيا.



فغابت عن وعيها .. لتغيب الابتسامة عن شفاهم مرة أخرى.. مع أيام عذاب جديدة.

ومع كل لحظة تعود فيها بوسى من غفوتها تكتشف أسرتها حقيقة الأمور الغامضة.. اتسعهم الندم عندما أبلغتهم أنها كانت تعمل فى فرنسا.. وسويسرا كمضيفة.. ومن خلال عملها استطاعت أن تجمع ثروتها التى امتلكت بها الشقة والسيارة.. فتدفق حنانهم عليها وبدأت نبته الثقة تنمو فى أعماقهم تجاهها من جديد.

ويأتى حكم العدالة ببراءتها .. لتكتم ألامها القاسية.. وهى تئن تحت عظامها التى هشمتها محاولة الانتحار.

كانت شهور العذاب تمضى عليها.. تحملت فيها ما تحملت.. وصمدت لجراحها باصرار عنيد.. تألمت فى صمت مرير.. ابتلعت دموعها بلا تخاذل وهى تتلقى صدمة بعد الأخرى، أمام حقائق تكتشفها مع كل يوم منذ اختفائها.. علمت أن زوجها السابق عصام كان يتردد على أهلها طول فترة اختفائها فى محاولة لاستعادتها .. كان يبحث عنها كما بحثوا عنها فى كل مكان.. ازداد تقربا اليهم.. شاركهم فى احزانهم.. اعتصره احساسه بالتجنى عليها.. تمنى أن تعود لكى يكفر عن غلطته .. ولليال ظالمة من حياتها .. وأن

وعادت مرة أخرى اليهم.. بأمل يتجدد فى قلبه مع كل زيارة لها بمنزل والدها.. ومع كل ابتسامة تصارع زكريات العذاب على

شفتيها. وبالرغم من ذلك لم تستطع بوسى أن تتخلص من أحساسها تجاهه بأنه كان الخطوة الأولى فى طريق تشردها.. وألامها.

حاولت أن تتودد إليه .. وأن تتقبل محاولاته للتقرب منها.. وأن تفسح لكلمات الاطراء مكانا فى نفسها. استمعت باهتمام لليال الوحدة التى عانى منها طوال فترة غيابها.. وإلى ندمه.. رحبت بالعودة إليه على أن يعطيها فرصة التفكير.. وكأنها رغبت فى أن تستغل تلك الفرصة لتبحث بمشاعرها عن انسان آخر.

فما كادت تشعر بالقدرة على السير متكأة على عكازين.. تجر أثقال الجبس فوق قدميها .. حتى قررت الذهاب إلى عادل شوقى التى طالت غيبتها عنه.. وهو لا يدرى لها مكانا.. ولم تجد صعوبة فى اختلاق مبررا لذلك الغياب.. واستطاعت أن ترتب الكلمات فى ذهنها استعدادا للقائه.. ولكنها .. ما كادت تقف أمامه داخل غرفة مكتبه بالمعرض حتى تبخر كل شىء من خلال نظرته الأولى.. فاقتربت بخطوة أقرب إلى القفزة. ولحقتها بابتسامة حاولت أن تهرب من شفتيها.. وهمست فى توجس.

- عادل .. ألا تعرفنى..

رمقها بنظرة سريعة .. تصنع الانشغال ببعض الأوراق .. ثم فاجأها قائلا بصوت مشمئز.

- كنت أعرفك قليلا ولكننى الآن أعرفك جيداً..

أضطربت نبرتها وهى تتساءل.

– أنا .. لا أفهمك .. أهكذا يكون لقاءك بعد غيابى.

قاطعها بعنف..

– أنصتى جيداً.. لا تحاولى تجاهل الحقيقة.. فلقد علمت كل شىء.. يا بوسى هانم.

تأملته بنظرة بلهاء.. كأنها تحاول التأكد من حقيقة معلوماته عنها بينما أردف هو متحمسا فى غضب.

– بحثت عنك فى كل مكان .. وفى النهاية ساقنى قدرى لأن أبحث عن سيارتك فى الجراج.. وجدتها .. وجدتها يابوسى هانم وهى تحت المصادرة .. ذهبت اليك.. وعلمت بانتحارك.. وكدت أجن .. ولكن .. لم تشأ ظروفى أن تسخر منى انسانه مثلك فالتقيت بصديقتك فايزة.

صرخت بانفعال .. فى محاولة لاخفاء توترها.

– كاذبة لا تستمع اليها.. انها كاذبة.

لاحقها.

– أنت الكاذبة .. نعم أنت .. ثم ..

وأقترب منها يتفحصها من أعلى إلى أسفل .. قائلا.

– بالمناسبة كيف حالك بعد وفاة أبيك.. صدقى بك عبدالوهاب.

توهمت أن لديها القدرة لأن تجيب.. فلم تستطع.. واستطرد.

– خدعنى وجهك البرىء.. ودموعك الغامرة كدت تحطمى حياتى .. بل دمرتيها فعلا.. وفى النهاية أكتشفت أنه عشيقك يا فاجرة.. عشيقك يا فاجرة.

– عادل .. أرجوك لا تظلمنى .. أنا ..

– أنت يجب أن تغربى عن وجهى إلى الأبد.. وألا أستدعيت من يلق بك إلى الطريق..

أهتز العكازين تحت يديها.. تمالكت نفسها بصعوبة وهى تدقق النظر اليه ثم استدارت بخطوات متلكأة بينما كان يتابعها بعينين ثائرة.. وقلب مضطرب، وهو يشهد على رحيل الحب الذى ملك كيانه فى رحلة أمل جميلة. تحول فى لحظة إلى أمل مفقود يذوب مع خطوات متعثرة وكيان ممزق.

ألتفتت إليه فجأة قبل أنصرافها .. همست بصدق.

– عادل .. أنا لست غاضبة منك. ولكنى أعذرك.. فأنت لم تخطو يوما على طريق العذاب.

ليت بيدى الأمر .. ليته كان.

وأنصرفت..

كاد كل شيء يغرب عن عينيها مع رحيل الشمس.. بـدا الأفـق ملتهبـا يحـاصره ظـلال مـن الغيـوم.. ونسـمه قـادرة تهـاجم وجههـا المكتئب، وقد بدأت قواها تتسلل مـع كـل خطـوة تخطوهـا وهـى تدفـع بقدميها السجينتين إلى الأمام.

وقفت مستسلمة لضعفها .. تنتظر سـيارة أجـرة تعـود بهـا إلـى منزل والدها. فالقت بها لحظات الانتظار إلى حيث أعماقها المقهورة.

أجل ليت الأمر كان بيدى..

العيون التى أعتادت على أن تغشاها مدامع الحزن طويـلا.. لا ترى ألا الربيع الذابل.. ولا تعرف لليل فجرا .. والقلوب التى مزقتهـا اسنة العذاب.. وأوجعتها سياط الظلم.. كيف لها أن تطالب بالحب؟

.. أجل ليت الأمر كان بيدى..

الحب فنـان قدير .. ايامـه لحظـات صـدق.. ونبضاتـه انفـاس حنان .. نداؤه رحمة .. وعالمة سعادة .. الحب ذكـرى.. والذكريـات لا تمـوت فـالخطوات التـى انهكتهـا أشـواك الطريـق.. والنفـوس التـى قهرتها قبضات العذاب.. كيف لا تضل الطريق إلى الحب.

استقبلت سيارة أجرة وهى تراقب عيون المارة من حولها كأنها تبحث عن معان الشفقة.. احست بالاختناق يطبق على صدرها عندمـا حاول السائق مساعدتها على صعود السيارة.. ولكنها لم تجـد بـدا مـن الموافقة.. فهى حقا غير قادرة .. وهى حقا فى حاجة إلـى المسـاعدة

ولكنها بالرغم من ذلك ترفضها.. تريد المساعدة من شحنات الحقد فى أعماقها.. تريد أن تستمد المقدرة من خلال الصبر المرير فى كيانها حتى لو تآكلت يوما بعد يوم.. دون أن تستشعر لحظة ضعف كالتى تعانى منها الآن.. ولكنها لا زالت تعانى.

أسرعت شقيقتها اليها بمجرد أن رأتها تحاول النزول من السيارة.. أمسكت بيدها وتلقفتها فوق كتفها النحيف حتى تمكنها من الاتكاء عليها وصعود درجات السلم.. لم تتلق منها همسة.

كانت تدق بعكازها بقوة على الأرض مع كل خطوة.. كأنها تهوى بسوط التحدى على ظهر أرض العذاب.. وكأنها تفقأ عيون التشفى تحت قدميها.. أو كأنها تبحث عن منفذ تذوب بداخله إلى الأبد.

وجدتهم جميعا داخل الشقة.. رأت عيون اللهفة والترقب تحيط بها.. ورجفة تأثر تسيطر على شفتى أمها.. ونواجز الندم تعلو وتنخفض مع صدر أبيها .. أمسكت الشقيقة الثانية بذراعها وهى تصارع دمعة أشفاق كادت أن تفضحها .. سارت بينهم فى صمت رهيب.. تجنبت الالتفات إلى أحدهم .. أحست بهم أعوان الموت ينتظرون قدومها.. تقدمت لحجرتها وهى تكتم صرخات الحسرة.. فبدت وكأنها تخطو إلى موكب الموت وتحمل بين يديها أشلاء عمر تآكلت أيامه.

توقفت على صوت أمها التى لحقت بها بعد أن أستعادت ابتسامة على شفتيها .. وهمست اليها بحنان :

– عذبنا القلق عليك .. انها المرة الأولى التى تخرجين وحدك بعد شفائك يا حبيبتى.. ترى عذبك الطريق؟

رفعت عيناها كأنها تطل من خلال عالم آخر.. ثم أجابت:

– لا تخشى شيئا يا أمى .. فأنا بحالة جيدة.

وما كادت أن تتحرك من أمامها .. حتى اعترضتها وهى تلتفت إلى الاتجاه الآخر قائلة بنبرة طيبة .. وسعيدة :

– يا ابنتى أبوك يريد محادثتك.

استدرات لتجد نفسها أمام والدها الذى وقف متأهبا للحديث معها.. دنت منه بخطوة منكسرة وتساءلت :

– نعم يا أبى .. أنا طوع أمرك ..

ابتهجت أساريره.. وأقترب منها ليربت على وجنتيها برفق.. قائلا :

– كفاك عذابا يا ابنتى.. وأعتقد أن الوقت قد حان لتعود الأمور كما كانت .. ألست معى؟

بدت منها التفاتة حيرى تجاه أمها .. ثم قالت :

– أى أمور يا أبى ؟

لاحقها متشجعا :

- عصام يجلس بالداخل .. كان يحدثنى منذ برهة عن أمله فى أن تعودى إليه..

صمت برهة يرقب تأثير كلماته .. ثم قال :

- وتحقيق وعدك له .. أنه يحبك يا ابنتى .. أجعلى قلبك يتسع للغفران..

قاطعته بهدوء :

- أخشى يا أبى أن ..

أمسك بيدها يساعدها لأن تخطو بجانبه.. دخلت إلى حجرة الاستقبال ليتلقاها عصام بابتسامة واسعة ولهفة صادقة :

- جئت أطلب صفحك .. ورضاك .. أرجو ألا ..

تدخلت الأم بسعادة كبيرة :

- كيف تخجلك يا عصام يا ولدى.. فأنت زوجها.. وحبيبها أيضا..

ثم التفتت اليها مرددة :

- أليس كذلك يا حبيبتى؟..

لم تجب بل لم تحاول الالتفات إليها .. سكنت تطيل النظر إلى عينيه المرتبكتين .. جرأته كلمات الأم لأن يتقدم نحوها يقبل رأسها.. ثم انحنى إلى يدها يقبلها مردداً :

- أرجو أن تشفع لى قبلاتى ..

ظل ساكناً لحظة ترقب وهو فى انحناءاته .. لاحظ عدم تحركها.. والتزامها بصمت يثير الظنون.. رفع قامته ببطء ليواجهها.. وقد احتل التوتر مقلتيه.. وأسارير الدهشة على وجهه..

ازدرد ريقه بصعوبة.. مبتعدا عنها بخطوة قصيرة .. قبل أن يقول :

- سوف تشفى قريبا مع الأيام .. أراك تحسنت كثيرا.

قفزت إلى مخيلتها لحظة تقبيلها لحذاء أخيه .. ولتوسلاتها لهم لكى يرحمونها .. استعذبت حيرته أمامها.. وأحست بقبلته على يديها تشبع رغبات جائعة فى نفسها .. وبانحناءته الذليلة قربانا لذكريات قاتمة.. وليال قاسية..

وبهدوء مريب يصعب توقع ما يعقبه .. أجابت :

- قد ترمم الأيام عظامى .. ولكن .. تراها تستطيع نفس الشىء لجراحى؟.

أدرك ما تعنيه .. وأحس بخطورة الموقف أمامها.. فهرع تجاهها مستجديا بصدق كبير :

- أرجوك لا تجعلى الماضى يسيطر عليك..

قاطعته .. وسرعان ما تقلصت أسارير الغضب على وجهها.. قائلة بحزم :

– أستاذ عصام.. أنا لا تربطنى بك صلة اليوم.. ولكننى سعيدة لأننى عرفت شيئا جديدا عنك.. عرفت أنك انسان لا كرامة له.. فاذهب وابحث عن كرامتك بعيدا عن هنا..

أفجعتهم الصدمة جميعا .. بينما وقف عصام متبلدا أمامها كأنه يتذكر كلماته لها يوم توسلت إليه أن ينصت إليها .. ويوم صدمها مقررا أنها بلا كرامة وعليها أن تبحث عن كرامتها بعيدا عنه..

وبصوت متهدج قال مترددا :

– إلى هذا الحد ملأ الحقد قلبك؟

– من الخير أن تنصرف الآن .. لتحفظ ماء وجهك.. أرجو ألا أراك مرة أخرى.

وما أن تجاوزها والانفعال ينتفض فى عروقه.. حتى استوقفته دون أن تستدير إليه :

– لا تنسى أن تبلغ تحياتى لولى أمرك .. شقيقك الكريم..

تلقى كلماتها كالصاعقة.. وانطلق منصرفا .. وهو يردد بصوت مرتفع :

– أنت مجنونة .. مجنونة ..

ومن وسط ذهولهم .. استدارت ببطء شديد .. متجهة إلى غرفتها وكأن شيئا لم يحدث.. توقفت برهة أمام والدها كأنها تطلب منه أن يصفح عنها.. وما كادت تخطو خطوة ثانية حتى تعثر عكازها فى مائدة صغيرة أعترضت طريقها.. فهوت على الأرض فى سقطة عنيفة.. لحظة اجتمعت فى مضمونها كل أحاسيس العجز والقهر.

رفعت رأسها ودارت بها وكأنها تتأكد من أنهم قد شهدوا عجزها الذى جاهدت طويلا لاخفائه.. ها هو يسقطها مرة أخرى يائسة.. مستسلمة.

هرعت الأم.. تلحق بأبيها وهو يحاول أن ينهض بها.. وامتلكهم فزع عندما فوجئوا بها.. تنطلق فى بكاء مرير.. ومن خلال نحيبها تبدأ فى ضحكات هستيرية.. ثم تعود للبكاء.. وهى تتلفت إلى لا شىء.. عيناها زائغتان.. وفجأة تعود إلى ضحكاتها التى تحولت تدريجيا إلى صرخات كادت أن تمزق قلوبهم وهم يرددون كلمات تستهدف تهدئة ثورتها.. وبكل ما تبقى لديها من مقدرة أفلتت من بين أيديهم لتسقط مرة أخرى على الأرض فى صمت مخيف..

وعندما أفاقت من غفوتها وجدت نفسها فى احدى حجرات مصحة نفسية.. لم تكن هناك وسيلة غير نقلها إلى تلك المصحة.. كانت ثورتها فوق تحملهم جميعا.. يفاجأون بها تشق سكون الليل بصرخة فزعة من نومها.. تمزق بشرتها بأظافرها.. تخلط ما بين البكاء والضحك.. تردد كلمات هستيرية.. مزقت قلوبهم وهم يرونها

تحت قبضة الألم الذى يعتصر أحشاءها.. تراكمت الأدوية دون جدوى.. أدمنت المهدئات حتى باتت لا نفع لها.. إلى أن حاولت ذات مساء أن تتخلص من حياتها بتناول كمية كبيرة من الأقراص المهدئة فغابت عن وعيها .. حتى اللحظة التى عادت إليها يقظتها .. اقتربت من النافذة تطل بعينين مرهقتين إلى سكون النيل وهو يزحف فى تؤدة إلى حيث لا تدرى .. أحست به شامخا.. جبارا.. واثقا.. قويا.. وتسلل إلى صدرها احساس بالرهبة أمام أصراره.. حاملا القمر على سطحه.. متهادياً فى كبرياء.

لم تعد تفارق نافذتها إلا فى فترات قليلة.. تستقبل فيها أسرتها.. أو ترد على استفسار طبيبها.. ثم سرعان ما تعود اليها تشارك النيل فى صمته.. وتتأمله فى اعجاب غير نافرة منه بالرغم من أحساسها أمامه بالضعف.. وبقدر فرحتهم جميعا عندما أبلغهم الطبيب بأنها باتت مهيأة نفسيا لتعود مرة أخرى إلى حياتها الطبيعية.. بقدر احساسها بالآسى بلحظة وداعها لانيس وحدتها..نيلها الجبار الصامت.

ومع عودتها استعادت حريتها من أغلال الجبس.. وراحت تستجلب لحظات المرح فى كل مناسبة.. بدأت بحنان من حولها المتدفق كأنهم يمنحونها ما سلبته منها ليالى الغربة.. بدت رقيقة الطبع.. عذبة الحديث.. استجابت بكل كيانها لرغبات والدها.. تخلصت من عنادها برضاء تام.. أحست بالسعادة تدنو من قلبها

الكليم.. غمرتها بصدق يوم أبلغتها شقيقتها بأنها على وشك الارتباط بأستاذها فى الكلية.. هامت بها نشوة الفرح.. منحت ببذخ من حنانها.. وأموالها.. كانت أروع لحظاتها وهى تتأمل سعادة شقيقتها بالهدايا التى دأبت على شرائها لها.. حاولت باصرار أن تتخلص من مشاعر الحقد التى تراكمت على قلبها.. تفاعلت مع كل يوم بمقدرتها على تناس ليالى الألم.. كأنها تخلصت من عقدتها بتصرفها الأخير مع زوجها عصام.. كما لو كانت قد قايضت بأيام من عمرها فى ظل سموم الحقد.. والتمرد.. مقابل تلك اللحظة التى أعتبرتها موعدا مع كرامتها السليبة. ولكن كان العذاب قد أشفق على نفسه من أن يتخلى عن وليدته غير الشرعية.. فمضى بين الليالى الغافلة يبحث عن ابنة العذاب.. حتى وجدها فى لحظة انهارت فيها كل أمنيات قلبها الذى يلملم فى جراحة.. وخارت معها كل محاولات التصدى لأحاسيس البغض والكراهية.. بل أضاف إلى أعماقها مزيدا من اللوعة والتعاسة.. أدركت فى حينها أن أى محاولة سوف يستردها ذلك النسلطان القاهر لينعى حظها التعس بدموعها .. ويزداد تألقا فى لياليها الحالكة بحسرة قلبها.. ممهدا لها رحلة جديدة على طريق الندم.. والضياع..

كان الصباح مشرقا كاشراقة نفسها .. وهى تقفز درجات السلم فرحة حاملة بين يديها العديد من الهدايا التى ستحتاجها شقيقتها فى حياتها الزوجية الجديدة. توقعت أن تكون الشقة قد خلت ممن فيها

عندما انتظرت على غير العادة قبل أن ينفلج الباب أمامها.. وسرعان ما أحاط بها غموض استقبالهم الفاتر.. لم تجد نظرة اللهفة فى عين أبيها.. وأستقر الأسى على وجه أمها.. بينما استكانت شقيقتها فى أحضان الأخت الكبرى وقد بدت الحمرة فى عينيها كما لو كانت قد استسلمت لبكاء مرير ساعات طويلة.. اقتربت بحرص نحوها.. تجاوزت أخاها الذى بدت عليه أسارير التذمر والغضب.. وبابتسامة مرتجفة همست إليها:

– انظرى يا سامية .. ماذا أحضرت لك يا حبيبتى؟..

رفعت أختها عينيها.. ورمقتها بنظرة اختلطت فيها الحسرة.. والألم، ثم انتفضت فجأة مهرولة إلى حجرتها .. وتركتها برهة تعانى من دهشتها .. تلفتت تبحث فى عيونهم عن اجابة ترشدها.. ولكنها لم تجد .. ألقت اللفافة من يدها وهرعت وراءها.. بخطوات مضطربة.. اقتربت منها .. تأملتها لحظة ترقب وهى فى نحيبها المكتوم.. ثم قالت :

– سامية .. ماذا بك .. ما ...

فوجئت بصرختها.. وهى تنهض من أمامها تحاول الإنصراف.

– اتركينى وشأنى .. اتركينى ..

لحقت بها .. وأمسكت بيدها باصرار .. وبادرتها

– لن أتركك قبل أن تخبريني.. ماذا حدث.. أنا أختك التى تحبك!

قاطعتها بعيون باكية :

– كفى ما تسببت فيه .. كفى .. شاء قدرى أن أدفع أنا ثمن ارتباطى بك..

وقبل أن تمنحها فرصة التساؤل .. أردفت :

– الانسان الذى أحببته والذى كان سيتقدم لأبى ليطلبنى منه.. علم بكل شيء.. عندما حاول الاستفسار عنى فى المنطقة..

– علم بماذا .. يا سامية؟

لاحقتها الأخرى بلا وعى .. قائلة :

– علم بكل شيء عنك بالطبع .. البعض قال انها شقيقة راقصة بأحد الكباريهات.. والبعض قال أن لها شقيقة هربت من أسرتها.. وغيرهم أفادوا بأنك عاهرة..

– أخرسى .. والا ..

ولكن شقيقتها باتت لا تقوى على التحكم فى نفسها.. وراحت تردد :

– نعم يجب أن تعلمى الحقيقة.. لقد تركنى.. أتعلمين.. تركنى بسببك.. لأنه لا يشرفه أن أكون شقيقتك.. ما ذنبى أنا.. ما ذنبى؟

وركعت فى بكاء تئن له القلوب.. بينما وقفت هى أمامها بلا حراك.. كأنها أصيبت بالشلل فجأة .. وقد استقر الذهول فى عينيها وهى تسقط نظرتها على ضقيقتها الباكية فى ألم .. استدارت فى تثاقل لتتصرف من الحجرة.. ثم توقفت عندما فوجئت بأسرتها وقد تكومت على باب الحجرة لمراقبة ما يحدث فى صمت متوتر.. رمقتهم بنظرة شريدة.. والتفتت إلى شقيقتها الراكعة.. هامسة فى ذهول :

– سامحينى يا سامية .. ولا تخشى شيئاً .. سيعود اليك خطيبك.. فالأمر بات اليوم فى يدى..

احتبست أنفاسها لحظة قاسية وهى تصارع دمعة توقعت أنها غابت عن جفونها إلى الأبد.

ثم أردفت وهى منصرفة إلى غرفتها :

– ذلك هو قدرى ..

وما أن توارت داخل غرفتها، حتى انهارت على فراشها غير مبالية .. ولا متنبهة.. لا شىء يؤرق مشاعرها أو يعبث بكيانها.. لحظة سكون.. تجمد كل شىء حولها.. كأن قلبها تحول فجأة إلى قطعة جليدية.. وشرايينها باتت جذور شققها الجفاف .. لحظة ذهول حملتها إلى دنيا الواقع.. لتمتد يد الحقيقة وتكشف عن ذاتها.. فى رغبة قوية لاتخاذ قرار جديد.

كان موقف أختها الجريحة .. ونظرة الاشفاق المكللة بالغضب فى عيونهم جميعا واحساسها بمطالبة الواقع لها بأن تدفع المقابل الذى

استدانته من أحداث مضت مع الأيام.. كل هذا كان كفيلا بـأن يجعلها تبحث عن قرار جديد.. قرار يهدىء من ثورة العيون ويمهد طريق الأمل لقلب جريح.. كـأن ذاتها قد قفزت أمامها فجـأة.. فرأتها .. كشفتها .. فوضحت بصماتها مع رائحة الخطيئة.. والضياع.

اتكأت على مسند الفراش.. كأنها تتـأهب لاستقبال المزيد من حقائق ذاتها .. تجولت بعينيها إلى لا شيء..

وماذا بعد ؟..

أبى أثقلت خطواتى كاهلة.. أمى أذلهـا الاشفاق على حياتى.. ولم يعد لأخى مفر من أن يكظم غيظه مقهورا.. وشقيقاتى طواهما البؤس لوجودى.. فقدت سامية حبيبها بلا ذنب ارتكبته.. والأخرى تنتظر مصيراً آخر قد لا يختلف كثيرا.. أنت لازلت تطمعين فى مواصلة رحلة الانتماء.. انتماءك تفوح منه رائحة الرزيلة.. واقترابك ومضات عذاب تشمل كل من حولك.

تمنت لو اغتسلت من حياتها.. وماضيها.. فى بحر الغفران .. و..

وفى الصباح اليوم التالى بدت وكأنها قد وضعت يدها على ضالتها .. أو قرارها .. وقفت أمامهم تعلن عن رغبتها فى الرحيل مرة أخرى إلى أى مكان .. وليكن فرنسا.. لتواصل رحلة العمل كما أبلغتهم من قبل.

تحسست الألم فى صدرها بصمت وهى تلحظ موافقتهم الجماعية بلا تردد.. كأنهم كانوا يترقبون قرارها فى حذر.. فأعلنته وهى خاضعة لحكم القدر الذى لم يمهلهما فرصة مجرد محاولة العودة.

ومرة أخرى تعود إلى الطريق راحلة بعيدا عن واقعها الحزين انطلقت بسيارتها تشق الطرق بلا هدف.. ثم استقرت فى النهاية أمام منزلها بالزمالك.. نزلت من السيارة كأنها تهوى إلى دنيا الخداع دون رغبتها.. وما كادت تصعد الدرجات الأولى من السلم حتى توقفت فجأة بعدما فشلت فى أن تتخلص من احساس الاختناق الذى داهم صدرها منذ الصباح .. عادت إلى سيارتها من جديد.. واندفعت بها مرة أخرى.. تقطع المسافات المختلفة.. وتملأ عينيها بكل شىء حولها.. بدت وكأنها تبحث عن شىء ثمين اكتشفت افتقاده فجأة..! أوقفت محرك السيارة.. سارت تتجول بخطوات لاهثة تنحرف يمينا ثم تلبث أن تقطع الطريق إلى الاتجاه الآخر.. التصقت خصلات شعرها على جبينها كأنها تحتمى من لهب الشمس.. دخلت محل بقالة وابتاعت بعضا من احتياجاتها.. وما أن تجاوزت كشكا لبيع الصحف والمجلات حتى تسمرت فى مكانها.. استدارت برأسها فى تردد.. ركزت نظرها فى كتاب اندس بين مجموعة أخرى.. تقدمت نحوه فى ثبات وعيناها متشبثه به كأنها فى رحلة مع الذكريات..

.. فجر وضباب..

مرة أخرى تجد نفسها أمام ديوان جديد للشاعر وحيد فهمى.. قرأت عنوانه ثانية ثم تسللت إلى اسمه.. انحنت بهدوء.. وتناولته بيد مرتجفة لم تدرك فى حينها سببا لها.. قلبته برفق لتواجه صورته.. تراجعت برأسها كأنها اصطدمت بنظرته أو كأنه يقف أمامها على أرض الواقع.. زحفت كلمات الماضى التى كانت تتدفق من بين شفتيه إلى أذنيها.. أحست بحروفها تهز كيانها هزا عنيفا.. فتركته من بين يدها فى اضطراب مفاجأ ثم استدارت عائدة هاربة.. حاولت أن تشغل انتباها بالنظر إلى اللافتات التى تمر عليها بسيارتها.. أو بتجاوز سيارة أخرى.. أدارت جهاز التسجيل وجمعت حواسها لكلمات الأغنية.. فتسللت منها إلى صورة وحيد فهمى باصرار استعذبته.

عادت إلى شقتها بعد غيبة طويلة.. تجولت فى حجراتها كما لو كان ذلك للمرة الأولى.. استقرت على مقعدها المفضل بجوار النافذة المطلة على رفيق ليلتها فى أيام وحدتها.. إلى النهر الصامت كما كانت تدعوه دائما فى نفسها.. أحست بانعكاس القرص الملتهب على سطحه كأنه يذوب فى مقلتيها فيشدها برفق إلى دوامة الذكريات فى رحلة مع الماضى.

ذكرتها الومضات الذهبية على نهرها الحبيب بتلألؤ مصابيح المجون فى علب الليل. وزهرة مائية من زهور النيل راحلة بعادل شوقى الذى لم تستطع أن تمنحه رصيدا من الكراهية فى قلبها.. أرسلت بصرها إلى حيث لا نهاية .. إلى أفق بعيد يصل ما بين حافة

الشمس وامتداد النيل.. طلت هناك على بيتها الصغير أو عشها الجميل وهى ترافق زوجها السابق فى رحلة كفاحه التى كللها بباقة الشوك لينثرها على طريقها فيما بعد.. تابعت مركبا شراعيا يخترق الماء وهو يطفو مع أنفاسها.. تسللت رجفة انفعال إلى قلبها تراقب انقضاض طائر على سطح النيل كأنه فى سقطات متتالية. تذكرت لحظة الموت ونسمة الفراق التى رافقتها يوم القت بنفسها بحثا عن صدى قوى لبراءتها. فأرتدت بعينيها فجأة إلى اتجاه آخر كأنها تنقذ نفسها فى آخر لحظة من موت محقق لا ترغب فى أن يكون من أجل ذلك السبب. تخلصت من مكانها انتقلت إلى غرفتها واسندت رأسها برفق على الوسادة.. كأنها تخشى على خاطرها من الرحيل.

رددت فى صمت :

فجر وضباب ...

أمتدت يدها تتحسس عنقها كما لو كانت تسعى لتحطيم قيود التفت حولها بلا رحمة .. فقاومتها بتحد .. انسابت يدها إلى صدرها وما كادت تتحسس قلادتها الذهبية حتى قفزت إلى مخيلتها صورة يدها المرتجفة وهى تمتد لسرقة القلادة.. ضمت جفناها كأنها تخفى نفسها عما حدث.. عن خطيئتها الوحيدة التى لم تتهم فيها.. وعن هدى.

هدى..

نهضت من فراشـها.. تـأملت نفسـها برهـة فـى المـرآة قبـل أن تنصرف مرة أخرى. شملها الوجـوم عندمـا لـم تتلـق جوابـا لطرقاتهـا على باب هدى.. استدارت للشـقة المقابلـة.. علمـت مـن الجـارة بـأن هدى تعمل بائعة فى أحدى المكتبات .. أسعدها حصولها على عنـوان المكتبـة.. بقدر سـعادتها بأنهـا لا تـزال فـى موقعهـا ولـم تقـذف بهـا الاحداث بعيدا مثلها.

كانت الشمس قد سلمت مكانهـا للغـروب تاركـة نسـمات بـاردة داعبت شعرها الطويل من خلال نافذة سيارتها وهى فى طريقهـا إلـى حيث هدى.

ترددت برهة أمام المكتبة.. تصنعت فيهـا الانشـغال باسـتطلاع بعض الكتب المعروضة.. ثم اندلفت إلى الداخل لتلتقى برفيقة طفولتها بعد رحلة فراق دامت قرابة العامين.

وما كادت أن تتبينها هدى بعد تردد.. حتـى هرعـت إليهـا فى لهفة.

– مستحيل .. أنت .. أنا لا أصدق عيناى.

استجابت لقبلاتها فى سعادة.. ثم قالت بهدوء :

– كيف حالك يا هدى.

جذبتها برفق من يدها وهـى تبـدى التفاتـة سـريعة تجـاه بعـض رجـال انهمكـوا فـى حديـث هـامس. متوتـر.. ثـم أجلسـتها بجوارهـا وبادرتها :

- اهكذا يكون حق الصداقة عليك.

لاحقتها فى ارتباك :

- للاقدار أحكامها يا هدى .. فلا تظليمنى .. ولكن .. وأنت كيف حالك .. ومنذ متى وأنت..

ولكنها توقفت عندما استدعى هدى أحد الجالسين.. كان واضحا أنه صاحب المكتبة.. حيث أسرعت إليه .. وتلقت منه تعليمات شغلتها عن صديقتها دقائق قليلة. عادت بعدها إليها وهى تحاول أخفاء بعض الضيق الذى لم يصعب عليها اكتشافه فأستطردت:

- كنت أسألك منذ متى وأنت تعملين هنا ؟

قاطعتها بابتسامة اقتربت من السخرية :

- منذ عام تقريبا ..

ثم ألقت بنظرة سريعة إلى المجموعة .. وأردفت :

- ولكن يبدو أنه اليوم الأخير لى.

- ماذا .. ماذا تقولين ..

لا تخشى شيئا .. أقصد اليوم الأخير مع صاحب المكتبة.. فالاجتماع الذى ترينه الآن هو حلبة صراع بين بيع وشراء.

استدارت برأسها تجاه الرجال الذين تأهبوا للانصراف.. وسألتها :

- أتقصدين أنه ..

تدخلت هدى :

- أجل .. يرغب فى بيعها خضوعا لمرضه ولكن يبدو أن رغبته لم يحن أوانها. وهى تراقب انصراف الآخرين.. واستطردت متسائلة :

- وأنت كيف كانت حياتك.. تزوجتى أم لا .. فى الحقيقة أنا.. ولكنها فوجئت بها تقول :

- هدى .. ما رأيك لو .. لو أشتريتها . أقصد ما رأيك فى هذا المشروع؟

وقفت هدى تتأملها فى لحظة صمت كأنها تسترجع كلماتها مرة أخرى لتتأكد من صدق ما سمعته.

ثم قالت متشككة :

- ماذا قلت..

سارعت باصرار :

- هدى .. ليتك تحققين لى رغباتى .. فأنا حقيقة فى حاجة إلى أى مشروع أجد فيه نفسى بعيدا عن تلك الدوامة التى أعيش فيها.

لم تستطع هدى التخلص من ذهولها وهى تراقب حديث وفاء فالتفتت إلى صاحب المكتبة الذى قبع مكتئبا فى سكون.. ثم أعادت سؤالها :

- تتحدثين عن شراء المكتبة .. لازلت تهوين المزاح .. أم أنك

كانت أسارير الاصرار واضحة على وجهها وهى تقاطعها :

- صدقينى أنا لا أمزح .. وليتك تعاونينى على هذا.

ومن خلال رغبتها المتدفقة فى أعماقها .. استجابت لكل شروط الرجل بلا مراوغة متوقعة فى مثل تلك الظروف.. مع دهشة هدى وكأنها تسبح مع خاطر من ارهاصات اليقظة وهى تراقب موافقة صديقتها على كل البنود فى استسلام غريب.

رأتها وهى توقع على الصك وتقدمه كعربون.. ولم تنتبه من ذهولها ألا على صوت صاحب المكتبة وهو يهمس لصديقتها قائلا :

- مبروك .

واستجمعت فكرها الشارد وهى تردد :

- مبروك .. مبروك يا .

وبابتسامة رقيقة مطمئنة .. قاطعتها :

- هدى .. ليتك ترافقيننى إلى المنزل.. فهناك أمور كثيرة احتاج فيها إلى معونتك.

التفتت هدى إلى الرجل كأنها تستأذنه.. ولكنه لا حقها قائلة :

- لم يعد الأمر بيدى..

وأشار إلى المالكة الجديدة فى ضحكة صادقة :

- ٦ -

مضت الأيام هادئة.. لم تتبدل فيها ظروف هدى أو معنوياتها.. خاصة بعدما أصبحت تعمل تحت أمرة صديقتها التى باتت تمنحها من الحب والتقدير ما يكفل لها الاستقرار المادى والهدوء النفسى. بل أوكلت اليها كل شؤن المكتبة حتى تشعرها بحجم مسئوليتها الكبيرة.. وبالرغم من أن وفاء لم تحدثها عن حياتها السابقة الا بالقدر الذى لا يهدد ذكرياتها الماضية، الا أن هدى أحست الشق النفسى الذى بدأ واضحا بين وفاء وأسرتها.. وأثرت أن تمد يدها بقدر إمكانياتها ولعبت دورا كبيرا لرتق ذلك التمزق عن طريق نقل أخبار وفاء إلى أسرتها مع كل زيارة تتعمد أن تختلقها.

حتى جاء صباح يوم كانت وفاء تقف بجوار هدى تعاونها فى مهامها بالمكتبة.

وأحست هدى باقترابها الكبير منها مما دفعها بجرأة لتتسائل فى حذر :

– لست أدرى أن كان من حقى أن أسألك .. من أين جئت بتلك الالاف؟

رفعت وفاء رأسها فى تشاقل .. ثم دققت برهة فى عينى صديقتها التى اعتراها ارتباك .. ثم أجابت :

– ألم أقل لك عملت طوال الفترة الماضية ما بين فرنسا.. وسويسرا.

صمتت لحظة ثم أردفت ضاحكة :

– لو كنت أعلم أنني سوف أستثمر كل رصيدى فى مكتبة.. لكنت قرأت على الأقل كتابا واحدا فى حياتى.

ابتسمت هدى مجاملة.. كأنها أدركت بأن عليها أن تتجنب مثل تلك الاستفسارات، وتأكدت من ذلك عندما أندلفت وفاء داخل حجرة صغيرة خصصت كمخزن للكتب بحجة اجراء بعض الترتيبات.. تعمدت أن تمكث أطول وقت ممكن داخل الحجرة حتى تتخلص من احساسها بالمرارة لتساؤل صديقتها وهى لا تعرف له سببا... غير انها أصبحت تشعر بالملل.. والاستياء من كل حديث يضع أمامها صورة ذكرياتها الأليمة.

وما كادت تعود إلى حيث تقف هدى.. حتى سكتت فجأة دون حراك وقفزت إلى عينيها دهشة عارمة.. حاولت أن تعمل على اخفائها.. عندما فوجئت بهدى تكاد تنتهى من بيع بعض الكتب لشاب ادركته بمشاعرها قبل عينيها.. تقدمت بخطوات مترددة تجاهه.. وقبل أن يلتفت إليها همست بنبرة مضطربة.

أستاذ وحيد فهمى..

التفت إليها وحيد بابتسامة هادئة.. وأجاب كأن الأمر لا يعنيه :

- نعم

ثم انشغل عنها مرة ثانية بتصفح الكتاب الذى بين يديه ثم التفت إليها ثانية ورمقها بنظرة كأن خاطرا ما قد راوده فلفظه من خياله متشككا.. بينما لاحقته بشىء من الجرأة :

- ألا تذكرنى يا أستاذ وحيد ..

وتلجم لسانها مع نظرته الثانية .. التى أراد بها أن يتفحصها ولكنه فشل .. حيث غشت عيناه سحابات ماض .. ربط من خلالها مشاعره بذلك الوجه الذى بدا له غريبا.

تذكر الشعر الأسود فى وقاره.. وعيون حالمة فى أجفان يحيط بها بريق الغموض الذى أثارته ليال طويلة.. تذكر انسانة أخرى الا أن تكون هى..

فالشعر الأحمر.. والعيون التى اعياها السهر.. والابتسامة الذابلة.. لا يمكن أن تكون هى.. لحظة عنيفة متوترة أطاحت بكل محاولات توازنه ووقاره جمعتها فى نظرة ثانية.. ثم أجاب:

- فى الحقيقة.. أراك قريبة إلى ذاكرتى..

احست بالضيق .. كما لو كانت تتمنى لو لم تغب عن خياله قط.. وبأنه قد سهر الليالى بحثا عنها فى أعماقه.. تمنت أشياء كثيرة قبل أن تجيب:

- يا ترى ذاكرتك تستطيع أن تصل إلى كافتريا بمصر الجديدة.

لم يكن فى حاجة لأن يصل بذاكرته إلى أى مدى .. كلماتها كانت كافية لأن تؤكد ما ألحت عليه مشاعره.. ردد فى نفسه قبل أن يبادرها قائلا:

- أنت ..

سارعت .. كأنما أسعدها تذكرة لها.. أو كأنها تصورت أنه تذكرها :

- نعم .. أنا ..

ولكن سرعان ما ذابت بهجتها .. عندما أنشغل مع هدى التى تدخلت قائلة :

- كم أنا سعيدة برؤيتك يا استاذ وحيد .. أنا .. أنا قرأت ديوانك الأول (انتماء الغرباء) أحسست من خلال قصائده..

قاطعتها وفاء باضطراب واضح.

- هدى .. هناك من يطلبك على ما اعتقد.

استجابت هدى لدعوتها بالرغم من عدم فهمها لما تعنيه وفاء.. بينما سكن وحيد فهمى يراقب تصرفها من خلال نظرات يختلسها بحذر من فوق سطور الكتاب الذى بين يديه.. فوجىء بكلماتها :

– أنا أيضا قرأت ديوانك الأول .. اعتقد أنني عاصرت بعض قصائده..

سارع بقوله كأنه يود اللحاق بالخاطر الذى داهم عرين ذكرياته منذ رأها :

– عرفتك منذ الوهلة الأولى.. ولكن..

قاطعته بحماس وهى تتلفت حولها :

– أستاذ وحيد .. هل لى أن أختلس من وقتك لحظات فى مكان آخر :

انسابت ابتسامة هادئة على طرف شفتيه ثم تساءل هامسا بنبرة دافئة :

– بالرغم من اننى لا أفضل مبدأ الاختلاس.. الا أننى سعيد بتلك الدعوة.

ثم التفت تجاه هدى بنظرة سريعة واردف قائلا :

– لا أعتقد أن صاحبة المكتبة ستتحملنا أكثر من ذلك.

واستدار متجها اليها بعد أن اقتنى من الكتب ما كان يرغب فيه ولا يرغب.

انتبهت وفاء إلى ما تصوره.. فتراجعت بسرعة بعيدا عنه.. ثم رددت قبل انصرافها إلى الخارج.. موجهه كلماتها إلى هدى التى سكنت على مقعدها تلاحظ لقاء الغرباء دون أن تلفت النظر اليها.

- آنسة هدى .. سأعود قريبا لاختيار بعض الكتب.

بينما تلكأ وحيد فهمى فى خطواته إلى الخارج كأنه ينفى عن نفسه ذلك التصرف الذى قرر أن يتخذه رضوخا لرغبات طال استمالتها فى أعماق مسلوبة الارادة.

وما كاد يقطع بضع خطوات خارج المكتبة حتى استوقفته وفاء:

- أستاذ وحيد ..

استدار وهو يدرى أنه سيراها .. وأجاب مبتسما :

- ألا ترين أنه من غير العدالة أن تستوقفينى باسمى.. وأنا للآن لا أعرف أسمك.

صمتت مضطربة.. وغابت فى عينيه.

ماذا تريد منى .. ماذا أريد أنا منك..

ليتنى أعرف ما تبحث عنه.. تراك تبحث عن وفاء.. أم عن بوسى.. تراك تبحث عن.. ثم أجابت بهدوء :

- بوسى .. اسمى بوسى.

وكأنه قد وجد ضالته وانتهى.. أو أنه شعر بكذبها فأبى على نفسه أن تعبث بوجوده.. كما لو كان استيقظ من غفوة تسللت إلى أتزانه.. فبادرها قائلا :

– انسة بوسى .. أراك اختلفت كثيرا عما رأيتك أول مرة.

أشارت إلى سيارتها المرسيدس وأجابت :

– ما رأيك لو نكمل الحديث فى سيارتى؟

التفت إلى السيارة ثم أرتد اليها مجيبا. وقد بدأت أسارير الانفعال والندم تظهر على وجهه :

– أشكرك .. فلدى موعد هام لا يحتاج أكثر من خطوات قليلة.. ولا يحتاج إلى سيارة.

أحسست بالدماء تتفع إلى إلى وجهها.. وزاغت بنظرها كأنها تستطلع أن كان هناك من لاحظ استسلامها لذلك المغرور.. وهمست:

– اذن فهو الفراق ثانية .

لاحقها بما كانت تتوقعه :

– أشكرك .. وعلى كل حال أرجو أن تجمعنا الصدفة الثانية؟

ولم تجمعهما الصدفة.

بل جمعتهما لقاءات عديدة اشتركا فى نسج ظروفها كمبرر للقاء المرتقب.

كانت سعيدة بممارستها علاقة جديدة لا ترتبط باهداف أخرى سوى أحساسها بالاطمئنان تجاهه ورغبة عنيفة فى استمرار تلك العلاقه بالرغم من تفاوت الاحلام بينهما.

من أجل ذلك أبلغته بانها تعمل بائعة فى المكتبة وبأنها ابنة أحد الاثرياء وقد أثرت أن تقتل وقت فراغها بممارسة هوايتها فى القـراءة والعمـل فـى المكتبـة دون أن تشـعر أحـدا بعـدم حاجتهـا.. بينمـا كـان الحزن ينساب إلى قلبه مع كل لقاء.. حيث ادرك أن عيون الفجر كمـا كـان يصفهـا قـد بـاتت جمـرات حقـد تـوارت وراء مقلتيهـا.. وان الخصلات السوداء قد احترقت فوق لهيب الضباب .. والاستهتار.

كان حزينا للغموض الذى جـاهدت مـن أجل أن تحيط نفسـها بـه.. ولكنها فشلت.. وكانت فى التفاتاتها تقص رحلات عذابها.. وفـى نظراتها أنـات صريحـة لعيـون أرهقهـا البكـاء.. وفـى حديثهـا نـبرات تصارع طوفان الاختناق فى صدرها.. فشلت فـى أن تخفـى عنـه كـل محاولاتها.. ولكنها نجحت فى شىء واحد أن تجعله مشغولاً بها.

حيث بادرها فى لقائه المعتاد معها داخل حجرة مكتبه بالجريدة التى يعمل بها :

– بوسى .. لماذا لم ترتبطى بانسان طوال الفترة الماضية؟

احست به وكأنه قد أدرك كل شىء عن ماضيهـا وسـرعان مـا تأهبت لمهاجمته :

– أرجو ألا تكون تلك صفة الفنانين جميعا.

التفت تجاها مستفسـرا دون أن يحـرك سـاكنا ممـا شـجعها لأن تردف:

- اذا كنت تعتقد بأنك وجدت فكرة قصيدة جديدة.

قاطعها بثقة كبيرة :

قصائدى لا تنبع من فكرة .. ولكن مصدر ها الوحيد هو مشاعرى.

مضت لحظات صمت بطيئة بينهما.. أحست بعدها بانها قد اندفعت دون مبرر.. حاولت أن تتراجع عن كلماتها بابتسامة رقيقة.. ثم قالت بهدوء:

- يبدو أننى تسرعت بانفعالى .. أرجو أن تقبل اعتذارى.. ثم.. ثم الحياة مليئة بالاحزان أليس كذلك؟

أجاب :

كثيراً ما يستعذب الانسان بعض الاحزان.. خاصة لو كانت أحزان ماض يرغب بألا يعود.

غابت مع نبرة صوته .. وفى عينيه برهة.

تراك تعرف الحقيقة لو كنت تعلم عن أحزانى لا ختلفت الأمور الآن .. ولو كنت تعلم سببها لكنت أنت يوما أحد تلك الأسباب.

- بالرغم من أن الماضى لا يعود .. فان الاحزان لا تنتهى.

رفع عيناه اليها فأحست بنظرته تجردها من اتزانها.

- وهل أنت واثقة من أن الماضي لا يعود؟

قفزت ابتسامة حائرة.. ثم رددت بارتباك :

- سأضطر للانصراف الآن.

قاطعها برفق وهو ينهض من وراء مكتبه.

- وسأضطر أن أودعك. وأرجو أن أسمع قريبا عن رحيل أحزانك.

اتعاقبني يا وحيد؟

وقفت تحملق فيه كأنها تتأكد من كلماته.. أو تحاول أن تقترب مما يقصده.. ولكنه أردف قبل أن تشرد بخيالها :

- أشعر بأني في حاجة إلى رحلة بعيدة .. لا أعرف كم تطول.. كل ما أعرفه أنني سأبتعد.

لاحقته مقاطعة في فزع واضح :

- سترحل ثانية..

ظهرت ابتسامة على شفتيه :

- ولكني .. سأعود .

أحس بنبضات قلبه تتدفق مع دمائه عندما لاحظ عينيها وقد برقت بدمعه مترددة.



أقتربت بخطوة مضطربة :

.. اتبكين يا بوسى ..

لم تستطع الاحتفاظ بها بين جفنيها فأستسلمت لرحيلها بهدوء.. وبادرته :

- أستاذ وحيد .. أنا ..

ولكنها أمسكت عن الحديث أمام نظرته المترقبة فى تلهف. مما دفعه لأن يتساءل :

- ماذا فى الأمر يا بوسى؟

رفعت أصبعها تتخلص من بقايا دمعة التصقت بجفنها.. وبأسارير جامدة أجابت :

- حان الوقت لكى تعرف الحقيقة.. ربما تكون قد بحثت عنها طويلا مع نفسك.. ولا أخفى عليك.. فأنا لم أعد قادرة على مواصلة طريق الخداع.. وحتى لو كنت لازلت على استعداد لأن أخطو عليه فلن يكون على طريقك مهما كانت النتيجة.

ولأول مرة منذ سنوات طويلة أحست وفاء بأنها على أستعداد لأن تحطم قيود الخوف من حول قلبها.. لأول مرة تشعر بالامان الذى لم تعرف له سبيلا طوال رحلتها على طريق العذاب.

وقفت أمامـه تسـرد عليـه قصـة النـدم.. والألـم.. وفـى اذنيهــا زغاريد الخلاص تنطلق من أعماقها..

أحست بأنها تضع بين يديه شهادة ميلاد جديدة وهى تبادره :

– أنا وفاء.

استمتعت بدقائق نقية وهى تسترسل فى حديث لم تعتكف له فى محراب الحقد.. أو بوتقة الغليان بل تركت لقلبهـا العنـان لكـى يـترجم نبضاته بحرية على شفتيها.. شعرت بالارتياح وهى تنحر كيان بوسى أمام لحظة الصدق .. كأنها تنتقم لوفاء التى طالت غيبتها.. تنتقـم مـن طريق دفع بخطواتها عليه قهرا.. ومن أنـاس يسـيل لعـاب الحقـد فـى قلوبهم.. من خريف اقتحم حياة ربيعهـا .. وضبـاب حجـب عـن ليلهـا القمر.. ومن شيطان الزيف.. بدت فى ثورتهـا العارمـة كأنهـا تطهـر أعماقها من جذور الرذيلة التى كادت أن تتشعب فـى رئيتهـا.. فقـالت كل شىء.

حدثته عن الخمسين جنيهـا التـى بسـببها القت فـى سـوق عبيـد الملذات.. ومن خلالها أخرجـت مـن تجـارة العبيـد.. حدثتـه طويـلا.. وهو يملأ عينيـه مـن انفعالاتهـا.. وهـى تـردد بصـوت أنهكتـه نبراتـه الحزينة :

– وأنا سـعيدة الآن بوفـاء بقـدر كراهيتـى لرحيلـك عنهـا.. بـل أننى أذددت يقينا الآن بأنك لا محال راحل.

وما كادت أن تستدير منصرفه حتـى توقفت فجـأة علـى كلمتـه بعينين ذابتا وسط مدامعها.. حيث ناداها بهدوء :

– وفاء..

سكتت برهة حـاولت فيهـا أن تتفحص اسـارير وجهـه قبـل أن تسـدير فـى اتجاهـه دون أن تتحـرك مــن مكانهــا .. اقـترب منهــا.. أحسست باقترابه يقتحم كيانها ويذيبها فى أعماقه بجرأة ثم أردف:

– ما الذى دفعك لأن تبوحى لى بكل هذا؟

ترددت لحظة تمالكت فيها .. واجابت :

– هو نفس ما دفعنى لأخفائها عنك.

اتسعت عيناه كأنه يسعى ليرى الحقيقة أكـثر .. ولكنـه فوجـىء بها تستطرد بثبات يظلله الحزن.

– اخفيت عنك حتى لا ترحل .. واليوم اعترف بالحقيقـة لعلـك لا تفعل.

شعرت بالغيوم تزحف إلى عينيهـا وهـو يسـتدير أمامهـا بضـع خطوات .. ثم التفت إليها هامسا :

– اسعدتنى ثقتك بى .. ويمكنك !

قاطعته :

– أستاذ وحيد .. لا تحاول أن تبرر لى ما يمكن أن يحدث فيما بعد .. كل ما أريد أن تعلمه هو أننى لم أكن أحدث أحدا الآن سوى نفسى.

واجهها فى وقفته :

– أنا لم أقصد أهانتك.

وأشاح بوجهه يهرب بنظرته بعيدا عن عيونها الدامعة :

– ثم يمكنك أن تعتبرى الأمر كذلك بالفعل. كأنك تحدثتى مع نفسك.

واتجه عائدا وراء مكتبه.. شغله موكب الحياة من خلال نافذة المكتب كأنه يبحث عما يمكن أن يقوله وسط الزحام واستطرد بنبرة حائرة :

– أنت وحدك التى يمكنك أن تتخذى القرار. أنت وحدك التى تعرف حقيقة أعماقها بلا مكابرة أو خداع وأنت أيضا بامكانك بأن تقطعى الطريق على عودة الماضى



والتفت إليها ليجد نفسه وحيدا. شعر بصدى الفراغ يدوى فى اذنيه. لم يجدها.

انصرف وهو لا يدرى أن كانت قد استمعت إلى كلماته أم لا.. أفلتت من بين شفتيه صيحة مكتومة :

- وفاء ..

تراجع إلى النافذة وأطلق نظرته تسبح فى الأفق كأنه ينتظر صدى ندائه.. لعلها تسمعه .. أو كما تمنى أن تسمعه منذ برهة..

-٧-

توالدت الأيام مع الزمن.. والأحداث تدور دائرتها. كأنها وسط حلبة صراع .. كل ما جد يلقى بما سبق فى طيات النسيان سواء كانت أحداثا سعيدة أم حزينة.. ولأنها الحياة التى لا تعترف بذكريات الأمال المفقودة.. ولا بالامانى الهزيلة.. فقد ضمت وحيد فهمى إلى أحضان الغفوة أشهرا طويلة فى طريق كفاحه.. تعايشت مع قلمه المتدفق فوق سطور مشاعره.. رافقته فى رحلة الأرق الممتعة. وفى النهاية منحت حروفه بريقا يخطف الأبصار ويدغدغ القلوب.. لتدوى أبياته فى دنيا الانتشار.

توارت أحزانه خجلا أمام أصراره.. وتربعت أحلامه فوق صرح طموحاته.. ولم تمزق صدره الأهات الحبيسة.. كأنه لم يذق مرارة الوحدة.. وقسوة الحرمان بعد وفاة أمه. أو كأنه ولد من جديد.. وبحياة بلا ألم. وعمر بلا ماض.

وبالرغم من ذلك ما كاد ينتهى من ديوانه الجديد حتى وجد نفسه منساقا وراء رغبة جامحة.. واحساس عنيف يدفع بمشاعره لأن يجعل لديوانه أسما اقتنصته الأحداث من خياله ليال طويله.. وفجأة قفز إلى أعماقه كأنه يتحدى أرادته ودوامة الأيام .. ويتحدى أمله المفقود وينتشله إلى حيث أفق الوجود.. والواقع .

فأسماه (وفاء).



واهتزت مشاعره قبل قلمه وهو يسجل اهداؤه بكلمات تمنت نفسه لحظتها تطوف بلاد الدنيا وتصل إليها.

.. إلى عيون الحب ونبضه الإنتماء.

.. إلى ربيع قلب أعزه الكبرياء.

.. إلى وفاء..

أحس بارتياح كبير وهو يعيد قراءة اهدائه مرات عديدة كأنه يسعى لأن يردده بنفسه.. لعله يكفر عن رحلة النسيان فى غربته.. أو يصل بصوته إليها.. فربما تستجيب لاعتزازه.. وربما تغفر.. لعلها تسمعه.

ولكنها لم تفعل .. أو أنه قد فشل.

فهى أيضا تصدت لذكرياتها الحزينة بارادة قوية. استطاعت أن تتخلص من أحاسيس دخيله على أعماقها.. فلم يعد يؤرقها احساس أثارها يوما بالهزيمة.. ولا ذكرى تقلب عليها مواجع جراحها.. كأنها لم تتشرد ليال على طريقها الحالك.. ولا تقلص قلبها حزنا وندما فى لحظات توسلت فيها للموت أن يسعى اليها.. عرفت الطريق إلى الاطمئنان بعدما اذلها التوتر.. والخوف.. كاد سرها الأليم أن يطبق على صدرها فيحجب عن رئيتها النسمات النقية ويغمس قلبها فى دائرة الحقد دون أن تدرى .. وبمجرد أن تخلصت منه وهى تعيش لحظات أمام وحيد فهمى حتى أستعادت كل ما افتقدته خلال رحلتها

مع المجون.. استعادت نفسها .. ومن أجل هذا لم تكن فى حاجة لأن تنتظر منه تعليقا أو نصحا بعد ما أفضت أمامه بكل ما أخفته حتى عن نفسها كأن الأمر لا يعنيها.. أو كأنه هو لا يمثل لها شيئا سوى رغبتها فى أن تبوح أمامه بكل شيء.. هو فقط .. ولا أحد سواه..

تأكدت من ذلك بعد ما أحست برغبة كبيرة فى أن تحتفظ لنفسها بما حدث بينها وبين وحيد فهمى.. ولم ترغب فى أن تفصح عنه حتى إلى هدى صديقتها التى باتت أقرب إلى نفسها من أى شىء آخر.. خاصة بعد ما لعبت دورا هاما مع أسرتها حتى تمكنت من أعادة العلاقات كما كانت .. بل أذدادت أرتباطا باحساس الانتماء نحوهم.. ولكنها لم تستطع أن تجعل من ذلك الموقف قربانا أود ليلا على ثقتها بها.. حتى ولو كانت تستحقه. لم تعد تزور شقتها الخاصة إلا نادرا فأغلب أيامها كانت تقضيها وسط أهلها .

حتى كان صباح فوجئت فيه بوالدتها تقطع عليها مداعبة شقيقتها أثناء تناول الإفطار.. وهمست إليها بطيبة وحنان :

– وفاء.. لا تنصرفى قبل أن أحدثك.. فأنا أريدك فى موضوع خاص.

لم تمهل نفسها الانتظار حتى تنتهى من أفطارها وتبعت أمها التى جلست ترقب قدومها إلى غرفتها. وما أن دخلت عليها حتى لاحقتها قائلة.

- أغلقى الباب من خلفك يا ابنتى.

اغلقته وقد اعتراها احساس كئيب.. كأنها ستفاجىء برغبة جديدة فى أن ترحل مرة أخرى. استدارت اليها بعينين زائغتين.. بينما أردفت الأم :

- وفاء يا حبيبتى .. انظرى إلى نفسك فىالمرأة.. أترين كيف تسلل الأرهاق إلى جسدك.. انظرى إلى عينيك وقد أحاط بهما الذبول.

قاطعتها بتوجس :

- لا تخش على يا أمى .. فأنا بصحة جيدة.. بالرغم من أرهاقى فى العمل.

نهضت من مكانها واتجهت إليها ثم أمسكت بكتفها برفق:

- يا ابنتى .. أنت جميلة ولازلت صغيرة.. وأعتقد بل ويعتقد الجميع أن هذا يكفى.. وعليك أن تلتفتى إلى نفسك وإلى حياة جديدة تستمتعين بها مع أى أنسان.

واستطردت قائلة وهى تجلس مكانها :

- ثم الإنسان موجود .. لقد أتى إلى والدك .. ابن عمك.

سارعت وهى تحاول الاحتفاظ بهدؤها :

- ولكنى يا أمى لا أرغب فيمن يشاركنى أرهاقى.. فأنا سعيدة بذلك .. وعلى كل حال فأنا لا أفكر فى هذا الآن.

وقبل أن تنتظر منها تعليقا.. أو محاولة أخرى.. أقبلت عليها بخطوات مسرعة وقبلتها فى مرح :

- اهدأى أنت .. وأطمئنى يا أجمل أم فى الوجود.

ثم استدارت مسرعة.. وتناولت حقيبتها الصغيرة منصرفة.

أسرعت على درجات السلم كأنها تتوقع أن تناديها أو أن تلحق بها.. ودست نفسها داخل السيارة.. وانطلقت بها مسرعة إلى أن وصلت لنهاية الشارع.

توقفت مضطرة عنما لاحظت اعتراض سيارة شاحنة استقرت أمامها وسائقها يحاول معالجة الخلل الذى أصاب محركها.. تلفتت حولها باحثة عن منفذ فلم تجد .. أحست بالاختناق يزحف إلى صدرها.

تعللت بأن يكون مصدره تلك السيارة التى حالت دون مرورها.. تراجعت بمؤخرة سيارتها لتتخذ طريقا جانبيا.

وما كادت تقطع بضعة أمتار حتى توقفت مذهولة أثر اصطدامها بشىء توقف على أثره عقلها لبرهة .. ثم تمالكت مسرعة خارج سيارتها لتدرك بأنها قد صدمت أحد المعوقين وهو يحاول أن يستعيد توازنه فوق المقعد بصعوبة.

أحست بشق مفاجىء فى قلبها وهى تنحنى بارتباك.. وبقشعريرة عنيفه شلت جسدها أمام نظرته الثابتة.. ووجهه الهادىء..

استسلمت لمساعدة المارة.. أحتجبت عنه قليلا وسطهم.. وهى تردد بهمسات معتذرة ثم شقت طريقها اليه من جديد.. وكل كيانها ينتفض هلعا وخجلا وقبل أن تنطق بكلمة واحدة.. فوجئت به يبادرها الاعتذار بعد أن أعتدل فى جلسته بنبرة هادئة.

– اعذرينى .. أنا المخطىء ما كان يجب أن ..

أسرعت تقاطعه وهى فى توترها.

– بل أنا المخطئة.. أنا لا أعرف كيف ؟.. أقصد أرجوك أن تغفر لى .. كنت متوترة بعض الشىء ..

ولكنها توقفت عن كلماتها عندما أقتحم الجمهرة شاب وبدا عليه الفزع الشديد وهو يصرخ.

– أخى .. ماذا بك..

ولكن الآخر هدأ من روعه وتعلل بأنه تعثر وهو يحاول أن ينتقل إلى الاتجاه الآخر، وطلب منه أن يتبعه.

أنصرفت المارة .. ووجدت وفاء نفسها تقف بجانب سيارتها مشدوهة.. تراقب انصراف الشاب على المقعد فى توتر .. ولم تستطع أن تقاوم رغبتها فى اللحاق به مسرعة واستوقفته دون أن تهتم بالآخر الذى بدت على وجهه أسارير الدهشة.

ثم قالت بصوت مضطرب.

- أكرر اسفى.. وارجو أن تقبل اعتذارى..

رفع رأسه اليها.. تأملته فى صمت.. ثم انتبهت على صوته.

-صدقينى أنا بخير.

تجرأت بعض الشيء وهى تجيب

- أنا وفاء عبد الحميد.. هل لى ان اطمئن عليك غدا.

تردد برهة وهو يتابع الحاحها ونظرتها المتوسلة..

ثم اجاب بثقة.

- مقدم محمود سالم.

وفى هذه الاثناء انتبهت على ضجيج كلاكس سيارة أخرى وقفت وراء سيارتها وقد لحقت بها سيارة ثانية وثالثة فأسرعت قائلة وهى بين الوقوف والانصراف.



- عنوانك.. كيف..

دفع بيده عجلات مقعده للأمام مرددا.

- الوفاء والامل.. ستجديننى هناك..

تسمرت فى مكانها برهة قبل أن تتركه قائلة.

-سألقاك غدا. أرجو ان القاك.

وانطلقت بسيارتها الى المكتبة.

هناك.. جلست وراء مكتبها تتابع احداث لا تعرف كيف فرضت نفسها عليها.. وكأنها لا تدرى كيف ومتى حدث ذلك..

تسلل الى خاطرها صور المارة التى تجمعت فجأة حولها.. تذكرت ان بعضا منهم انهال عليها بالسباب.. واللعنات.. وزمجرت عجلات سيارتها عندما توقفت فجأة.. تذكرت وجه الشاب الذى اندفع بقوة يخترق تشابك الاجساد الملتصقة كى يصل الى هدفه.. احسته قاتلها لا محالة.. تحسست عنقها بيدها المرتجفة كأنها تتأكد ان الموت لم يلحق بها .. أو أنها لازالت متيقظة.

دوى فى اذنيها صوت تصادم مؤخرة سيارتها.. و.. تذكرت صورة الرجل الذى انبطح أرضا وهو مستند على ساعدة القوى فى اصرار واباء.

التقت نظرتهما فى خيالها.. كان هادئا متسامحا.. تسللت خيوط الفجر بين خصلات شعره.. تذكرت أنه لم يسبها أو يلعنها كالاخرين.. و.. انتبهت على صوت هدى.

- وفاء.. ماذا بك يا عزيزنى.

التفتت كالمسحورة.. اهتزت اهدابها ..استعادت واقعها.. وأجابت.

-لاشىء.. لا شىء

اقتربت منها اكثر وتساءلت.

- لا شيء كيف.. وأنا أراك هائمة فى عالم اخر.. انى اراقبك منذ جئت.. ماذا فى الأمر؟

اسقطت نظرتها فى استسلام قائلة.

- صدمت رجلا بسيارتى.

كتمت هدى صرخة كادت تفلت منها ولاحقتها منزعجة

- ماذا.. أقصد كيف.. ومتى.. وماذا حدث؟

نهضت من جانبها وسارت بضع خطوات.. حاولت أن تشغل نفسها بترتيب بعض الكتب.. ثم همست.

- لا شى.

التفتت اليها والدهشة تملأ عينيها.. واردفت.

-تصورى لا شيء.. كما أنه اعتذر لى.. بالرغم من اننى.

قاطعتها هدى ضاحكة.

- ربما كانت صدمتك فى قلبه يا حبيبتى.

شعرت وفاء بخيبة أمل كبيرة لانها لم تستطع أن تعبر لصديقتها عما يختلج فى صدرها.. ارادت أن تترجم لها نظرته الواثقة.. وأساريره الراضية.. أرادت أن تنقل اليها مشاعرها لحظة

اكتشافها عدم قدرته على ان ينهض بنفسه.. ولكنها لم تقو حتى على استعادة تلك الصورة أمامها.. كانت مشاعرها أكبر من قدرتها على التعبير عنها.. احساسها بالذنب جعلها تمتنع عن تذكر الحقيقة.. ولكنها لم تستطع أن تتخلص من الموقف بسهولة.. حتى انها نسيت حديث والدتها.. وما يمكن ان يحدث بعد عودتها.. كل شىء فى مخيلتها يتأهب للقاء الغد.. دون أن تدرى سببا لذلك الاندفاع.

أهو الضمير الذى طال ثباته فى صدرها.. أم المفاجاة التى سلبت مقدرتها على التفكير.. أهو الهروب من حقيقة خافية فى اعماقها.. أم أنه تصور لما كان سيحدث لها ذات يوم.. اهو احساس بالذنب اقتحم هدوء نفسها فرفع عنه قناع الزيف.. لا تدرى بل حاولت ان تدرى من اجل أن تعايش تلك الرغبة المندفعة.. لم يكن خوفا ولا مجاملة لذلك الشاب القعيد.. ولكنه احساس صادق لم يفرض عليها .. ولم تسعى لان تفرضه على نفسها.. احست من الوهلة الأولى عندما التقت عيناها بأنهما يشتركا معا فى شىء ما.. قد تكون النظرة الحزينة التى تحيط بها هالة الشموخ والارادة.. أو يكون جرح فى قلب أبت نبضاته أن تئن أمام الاخرين.. أو يكون عذابا وحرمانا.. يكون ما يكون.. ولكنها ستذهب.

كان صباحا جميلا .. أوقفت محرك سيارتها أمام البوابة الكبيرة لمدينة " الوفاء والامل" سارت على قدميها فوق الممر الطويل.. استقبلتها نسمات العطر المنبثقة من الازهار المختلفة والتى انتصبت على الجانبين بألوانها الزاهية تداعب بعضها البعض فى

دلال وتمايل.. خطفت نظرها الاشجار المورقة التى تكثفت فى تجمعات هندسية رائعة.. تبرق افرعها تحت قرص الشمس الذى بدا حنونا فى دفئه.

تكاسلت فى خطوتها عندما ترامى الى مسامعها لحنا ناعما أحست به يتخلل شراايينها فى نشوة كبيرة.

تمنت للحظة بأن تمضى باقى عمرها فى هذا المكان.. ولكن.. أنطفأت امنيتها سريعا عندما لاحظت مجموعة من الشباب يجلسون فى شكل دائرة على مقاعدهم المتحركة.. تجاوزتهم فى ارتباك .. شعرت بأن صورتهم جميعا قد استقرت فى مقلتيها.. حتى معالم اللوحة التى كانت أمام أحدهم يستكملها بريشته كادت أن تتبينها.. واسطر الكتاب الذى استقر بين يدى الثانى ودت لو عرفت فحواها.. حتى الضحكة التى اشتركا فيها اثنان منهم تمنت لو شاركتهما فيها.. وذلك صاحب اللحن الجميل الذى انتشت أوتار عوده تحت أصابعه الموهوبة.. كادت أن تطلب منه بالا يتوقف الى الابد.

وعند اقترابها من بداية المنطقة السكنيية التى انتشرت عليها العديد من الفيلات المتناسقة فى اشكالها.

لاحظت قدوم فتاة نحوها.. لم تستطع أن تتبينها ان كانت ممرضة.. أم مشرفة.. حتى بعد أن استوقفتها بابتسامة رقيقة..

-هل لى من خدمة اقدمها اليك؟

سألتها عن المقدم محمود سالم.. فذكرت لها الاخرى رقم الفيلا والحجرة.. عاودت السير فوق الطريق الأملس الذى يخضع للعديد من المنحدرات المنتظمة والمتساوية.

رافقها عبير الياسمين وهى تتجاوز بعض الفيلل الى أن وقفت أمام احداها.. ترددت لحظة قبل أن تدخل.. ثم دخلت.. احست انها تطأ مملكة رائعة لسلطان قوى أسمه الهدوء.

استقبلتها فتاة ثانية بابتسامة أرق من الاخرى، اتجهت بها الى حجرة كبيرة.. طلبت منها الانتظار لحظة حتى تبلغه تلك الزيارة.. شعرت بالارتباك لأول مرة.. وقفت تتامل لوحة زيتية رائعة.. ادهشتها خطوطها والوانها.. و.. استدارت فجأة

على كلمات وهو يرحب بها

هادئا كما رأته أول مرة.. بنفس الابتسامة المطمئنة وجلسته الوقورة على مقعده ذو العجلات.. تقدمت نحوه مسرعة.. صافحته فى خجل بينما اردف هو قائلا.

- اننى سعيد لرؤياك ثانية..

داعبت شفتيها ابتسامة حانية ثم اجابت.

- ارجو ان تكون بخير اليوم.

انطلقت نبرته فى ضحكة خفيفة.. ثم أشار اليها بأن تجلس على

مقعدا قريبا منه.. قائلا:

-لم أتصور بأنك قلقة الى هذه الدرجة

-فى الحقيقة أنا..

ولكنها توقفت عن الحديث عندما شعرت بقدوم شاب اخر يدفع احدى عجلات مقعده بيد واحدة.. وقد بدت عليه اسارير التحفز.. ثم بادرها قائلا.

– أنت صاحبة السيارة المرسيدس.. اليس كذلك؟

ارتبكت وفاء.. بل افزعتها المفاجأة.. فأسرع المقدم محمود هامسا من خلال ضحكة أراد أن يخفيها.

– أقدم لك صديقى الرائد مصطفى.

بينما لاحقها الشاب وهو لا يزال محتفظا بتحفزه.

– لم أسمع منك اجابة يا انسة.

القت نظرة سريعة الى محمود مرة أخرى ثم اعادتها الى الشاب وقد اعتراه الاضطراب.. وهمست كأنها تحدث نفسها.- نعم.. أنا

وما كادت أن تنتهى من كلماتها.. حتى أسرع هو من جديد متسائلا.

– عنوانك.. ومتى ستنطلقين بسيارتك.. وعلى أى طريق هيا

أسرعى فى الايجابة.. متى ستفعلين ذلك.

تراجعت بالخطوة التى سبق وان اتخذتها تجاهه.. وقد بدت عليها الحيرة واضحة.. وزاغت عيناها..واجابت بتوجس.

– هل فى الأمر شىء؟

قاطعها الشاب بلهجة صارمة.

– نعم.

ثم تراخى مستطردا.

– حتى اغافلك وتصدمينى.. ثم أقسم بعدها اننى صدمت من أجمل سيارة فى الدنيا.. و ..

ولاحقه المقدم محمود.

– كفى يامصطفى مزاحا.

وانطلق الجميع فى ضحكة من القلب.. استردت بعدها وفاء انفاسها.

كانت تلك اللحظة هى بداية للقاءات متوالية أتسعت بعدها دائرة معارفها بالمدينة.. يرافقها المقدم محمود فى كل زيارة لها.. أصبحت لهم جميعا صديقة.. أحست أنها جزء من كل انسان فى المدينة.. استقبلت فى اعماقها أحاسيس طالت غيبتها ضع لها أحدهم رأس تمثال يشبهها. وكانت فرحتها به اعظم من مقدرتها.. فبكت يومها

امامه وهى تحتضن تحفتها التى اقتربت من ملامحها تماما.. واستمعت بألحان موسيقاهم.. وهى تعود لتستمع لاحدى طرائف الرائد مصطفى.

كانت سعيدة..

باحتفاظها بأول سر نقى منذ فترة طويلة.. سعيدة بانشغالها، وباستقبالهم.. وبأحاديثهم الشيقة.. سعيدة بالرابطة القوية الهادئة التى تربطهم جميعا.

وبالرغم من تجاهلها لتلميحات هدى المستترة، الا أنها لم تجد بدا من أن تواجه استفساراتها هذه المرة وهى تدعى انشغالها باستلام أحد طرود الكتب الجديدة حيث تساءلت فى خبث.

-لم تخبرينى بقصة المقدم محمود حتى الان يا وفاء.

تحسست وفاء صورتها الصغيرة الموضوعة على رف الكتب أمامها .. ثم أجابت.

- صديق.

سارعت هدى مازحة.

- وهل لديه أوامر بألا يظهر للأخرين .. فأنا لا أعرف عنه شيئا حتى الان .. بالرغم من معرفتك القديمة به.

ابتسمت وفاء بهدوء.. قائلة.



– يا ما كره.. انه مشغول فقط.. وعلى كل حال سوف..

ولكنها امسكت عن الكلام عندما دخل شـابان ، وتقدم احداهما الى هدى متسائلا.

– ديوان وفاء.. لوحيد فهمى.. لو سمحت.

سرت قشعريرة فى جسدها راقبت هدى فى ذهول وهى تناولـه للشاب بعد أن دفع قيمته وانصرف مع زميله.

وما كادت ان تنطق بحـرف واحد حتـى ارتفـع رنيـن التليفـون فجأة .. رفعت هدى السماعة وتمتمت بهدوء.

– موجودة.. لحظة واحدة..

ثم التفتت اليها بنظرة مداعبة فى مرح .. وأشارت برأسها بـأن المكالمة خاصة لها.. تقدمت وفاء والاضطراب يشمل كيانها بخطوات كالمسحورة.. وهى تركز نظرتهـا تجـاه هدى.. ثـم تنـاولت السماعة منها وانتبهت على صوت المقدم محمود وهو يستفسـر عـن حالتهـا.. ولأول مرة تشعر وفاء برغبة انهاء المكالمة بسرعة.

وتخلصت منها بعد ما وعدته بزيارته بعد قليل.. وما ان انتهت حتى لحقت بهدى وهى تقول لها فى تردد.

– هل صدر ديوان للشاعر وحيد فهمى.. اسمه وفاء.

اجابت الاخرى بلا مبالاة.

– نعم .

مضت لحظة صمت.. ابتلعت فيها بعضا من ارتباكها.. ثم سألتها مرة أخرى.

– لماذا لم تخبريني.. أقصد.

أطلقت هدى ضحكة مقهقهة. قائلة.

– منذ متى وانت تسألين عن الجديد من الكتب.. فأنت لم يعد لديك وقت يا حبيبتي.

ثم تناولت الديوان وقدمته اليها مستطردة.

– هذا هو.

احست برجفة عنيفة تسري في جسدها وهي تمسك بالديوان.. رمقتها بنظرة خاطفة.. ثم قرأت عنوانه..وكشفت عن الصفحة الاولى .. دق قلبها بشدة وهي تتنقل بعينيها فوق سطور الاهداء.. واحساس هادىء يدغدغ كوامن مشاعرها بأن الاهداء موجها اليها.. ثم أعادته مرة اخرى.. وتساءلت وهي تجاهد في اخفاء اضطرابها.

–هل صدرت كتب أخرى جديدة.

امسكت هدى بكشف في يدها.. وراحت تعدد لها اسماء الكتب الاخرى الجديدة..بينما سكنت وفاء تراقبها بحذر كأنها تحاول ان تتبين ان كانت هدى تدرك الحقيقة أم لا.. ولكنها لم تفلح.

كانت كل حواسها تردد مع عقلها الباطن كلمات اهداء الديوان.. كادت أن تميز صوته من خلال مشاعرها المبتهجة.

انتبهت على انتهاء هدى من قراءة الكشف الذى بيدها.. أومأت برأسها كأنها استوعبت كل ما ذكرته الأخرى.. ثم تعللت بموعد هام خاص بالعمل وتركتها مع نظرتها الحائرة وانصرفت.

هى أيضا كانت أكثر حيرة.. وأكثر تشتتا.. شعرت بأنها قد تفاعلت بما لا يتناسب مع الواقع الذى تعيش فيه.

اساءها خاطر اقحم نفسه على خيالها الحالم.

ربما تكون وفاء أخرى التى يقصدها.

حاولت أن تتغلب على ذلك الخاطر المتشائم.. استعادت مواقفه معها فى ومضة أمل.. ولكنها تراجعت ازاء تكالب كل المواقف على ذكرياتها لتضع امام أحلامها الحقيقة بوضوح.

فلم تكن بينهما يوما مصارحة فى أمر تتكأ عليه لصالح مشاعرها.

ولا استجابت لأفكاره ذات مرة بل طالما ما كانت تراوغ افكاره كما راوغت الحقيقة فى أعماقها من قبل.. كأنهما على طريقين مختلفين.. ومتناقضين.. علاقتهما قدرية.. تسوقهما الظروف ولايسعيان لها.. كعلاقة الفجر والضباب.. وما يحمله الموج فوق سطح البحر.. وكالتى بين النسمة الباردة التى لا تفرق بين اهتزاز

السنة اللهب فى طريقها.. أو تمايل زهرة وادعة تواجدت فى رحلتها. واستسلمت للخاطره من جديد.

ربما تكون هناك وفاء أخرى.. ربما.

ضغطت بعنف على فرامل السيارة أمام البوابة الكبيرة لمدينة "الوفاء والامل" كأنها تحاول أن تكتم انفاس ذلك الخاطر الدخيل الذى لم يستجب لرغبتها.. أو كأنها توهم نفسها بالانتصار علية.

لم تجد المقدم محمود فى انتظارها كالعادة بالقرب من البوابة.. خاصة أنه اتصل بها بنفسه. بحثت عنه داخل الفيلا وفى الحجرات المجاورة.

سألت عنه احد الاصدقاء فلم يفدها.. احست بالاختناق يزحف الى صدرها.. وخشت أن تكون قد اغضبته دون أن تدرى.. اسرعت بخطوات مضطربة تجاه المعمل عساه أن يكون هناك.. فهو كثيرا ما حدثها عن الخلق الفنى الذى يتم بداخله.. ولكن خاب ظنها من جديد.. وقفت تمسح الحديقة الكبيرة بعينيها.. شعرت برغبة فى البكاء ولكنها لا تدرى مصدرها.

اليوم ليس موعد أخيه ولم يخبرها أحد بأنه راه ينصرف.. تراه لا يرغب فى استقبالى..لكنه.. اتصل بى..

ربما عاد الى الفيلا..

أسرعت تبحث عنه مرة أخرى داخل الفيللا.. ولكن دون جدوى.

وحدثت نفسها ثانية.

ايكون مريضا؟

ولكنها اطلقت ساقيها على الممر بلا ارادة عندما راته قادما من الاتجاه الاخر.. يدفع بيده عجلات مقعدة ببطء شديد.. اقتربت منه لاهثة.

- محمود.. بحثت عنك طويلا.

لاحظت تجهمه وهو يجيب مقتضبا.

- أنا اسف

سارت بجانبه صامته.. كأنها بحثت عنه لتكتفى فى النهاية بهذه الكلمات القليلة.. كان شاردا على غير عادته.

همست اليه مترددة.

محمود.. ماذا بك.

لاحقها مضطربا..

- لاشىء.. لاشىء مطلقا.

حاول ان يستعيد ابتسامة غائبة.. ولكنه لم يفلح.



سبقته بخطوة واعترضت طريقة مازحة.

– انت لا تتقن الكذب ولابد أن أعرف ماذا بك.

رفع رأسه اليها.. ثم قال مدعيا اللامبالاه.

– لا تبالغى فى تصوراتك.. صدقينى انا بخير.. ولم يحدث شيئا.. ثم اننى لا اعرف سببا لقلقك.

ابتسمت بهدوء..

– اذن فأنت لست غاضبا منى.

أشار برأسه نافيا..

–صدقينى.. لا.

واصلت خطواتها بجانبه.. حاولت ان تفاتحه فى أى موضوع ولكنها لم تستطع.. كان فكرها مشتتا.. وصدرها يعانى من اضطراب مشاعرها.

هى تريد أن تكون وفاء التى يقصدها وحيد فهمى.. تريد ان يكون قد سهر الليالى.. واعتصر قلبه لفراقها.. تتمنى لو كانت ذكراها سلواه فى غربته.. وان يغفر لها ماضى قهرته فى طيات النسيان.. تريد أن تكون قلمه.. وحديثه.. وشعره.. وافكاره

تريد أشياء كثيرة.. ولكن ارادتها باتت خصما لدودا لرغباتها.. كلما برقت فى أعماقها ومضة امل حتى تنقض عليها مخالب

المستحيل فتمزق احشاؤها.. واعماقها التى باتت يغشاها اليأس لتعود من حيث بدأت من جديد فى انكسار.

.. ربما تكون هناك وفاء أخرى..

انتبهت على صوت المقدم محمود.. بجانبها.

ارتبكت تصورت أنه سمع اعماقها.. ثم قالت ضاحكة.

-اياك أن تتصنت مرة أخرى على نفسى

التفتت وراءه لتدفعه برفق على الدرجة المؤدية للفيلا.. ثم اتجهت به الى حجرته.. بينما استدار برأسه اليها هامسا.

-لقد ارهقتك معى كثيرا.

دفعت المقعد دون ان تعلق.. وهى ترمقه بنظرة مازحة.

- اصبحت تثرثر كثيرا يامحمود.. ما رأيك لو تستلق قليلا على الفراش.

قاطعها مبتسما.

- ما رأيك أنت فى كوب من الشاى

-سأستضيف نفسى غدا.. والان يجب أن أعود.

صافحته فى ود كبير.. وما كادت تستدير الى الباب حتى توقفت فجأة عندما جذب انتباهها برطمان زجاجى استقر فوق

الكوميدينو.. ثم التفتت اليه متساءلة دون ان تحدثه.. فدفع عجلات مقعده تجاهه.. وأمسك به باصرار وقد لانت أسارير وجهه.. وهمس كأنه يحادث نفسه.

– ما بداخله أغلى من دمائى.. أغلى من حياتى نفسها.

اثارها الفضول.. تراجعت اليه وعيناها مسلطة على البرطمان.. ادهشها محتواه.. تأكدت باقترابها من انها حبات رمال.. ثم قالت:

–ماذا تقصد يامحمود.

ضحك مبتهجا وأجاب.

انها قصة طويلة سأخبرك بها غدا.

ولكنها قاطعته بلهفة.. وهى تجلس امامه على حافه الفراش

– لن اذهب قبل ان ترويها.

تحسس ما بيده بحنان.. وأشاح بعيدا عنها ..كأنه يبحث عن قصته فى أفق الذكريات.. وبنبرة هادئة بدأ يسرد لها تفاصيل يوم العبور فى حرب أكتوبر.. وكيف تشنجت قبضته على رمال سيناء بعد اصابته.. وأنتقل الى المستشفى برفقة حبات الرمال.. وحين أفاق من غيبوبته تحققت أمنيته بالاحتفاظ بها..

كانت المرة الأولـى التى يتطـرق حديثهمـا عـن اصابتـه.. فقد تجنبت كثيرا ان تستفسر عـن حقيقتهـا.. خوفـا مـن ان تذكـره بشـىء يؤلمه.. ولكنها فوجئت بما لم يكن فى خاطرهـا.. استمعت اليـه وهـو يتحدث عن يوم العبور كأنه يردد لحنا من اعمـاق أعماقـه.. أو يقـرأ نشيدا ناريا.. كلماته حماس واصرار.. كان يتحدث عـن قذائـف دانتـه كما لو كانت مصابيح امل تضـىء طريـق اشـتدت ظلمتـه.. وبألسـنة اللهب التى اندفعت تخترق سكون الافق كأنها ملامح فجر ظن البعض أنه لن يعود.

– همست بحذر :

– ولكن .. كيف

– تقصدين اصابتى..

تراجعت برأسـها الـى الـوراء كأنهـا تنفـى ظنونـه.. أو تتفـادى لطمة فى الطريق الى وجهها.. ثم أردف بهدوء واصرار.

– تأثرت من أصابتى لشىء واحد فقط.. هـو أننـى لـم اسـتطع مواصلة الحرب.. أحسست ان اصابتى حرمتنى من أجمـل نشـوة فـى حياتى قد تأهبت طويلا لها.. و..

صمــت برهـــه يتفحـــص ملامحهـــا المبهـــورة.. وعيناهـــا المشدوهتان ثم اقترب منها بأبتسامة هادئة..

– مالك تنظرين الى هكذا..

سرت قشعريرة فى جسدها قبل ان تجيب.

-لا شيء.. ولكن..

لاحقها.

– ولكنك مندهشة.. اليس كذلك.. يجب أن تتأكدى يا وفاء ان هناك ملايين على استعداد لان تعطى فقط.. العطاء بدون مقابل.. هو عطاء الحب الحقيقى..

وعطاء تحقيق الذات.

حاولت ان تقاطعه ولكنه لم يدع لها الفرصة.. وراح يطلق لمشاعره الحبيسة عنان الحرية ليعبر عن كل ما فى صدره.. واستطرد..

– كل زميل لى هنا أشعر أمامه بالتضاؤل.. فكل منهم له قصة مع اصابته.. جميعهم يعتبرون اصابتهم أكاليل فخر فوق رؤوسهم.. وعلى سطور ذكرياتهم فيما بعد.

ابتسم برفق.. كأنه تذكر شيئا.. ثم استرسل..

– ارأيت المقدم سعيد كيف يجلس الان هادئا.. مطمئنا..

لقد كان يومها وحشا عنيدا.. تحدى الالم من اصابة رصاصة فى قدمه يومين كاملين.. وحاول أن يخفيها عن الاخرين حتى لا يسحب من الميدان.. والملازم حسين أرأيتيه وهو ممسك بفرشاته

يمررها على لوحته بهدوء يقطر رقة وحنــان.. كـانت صيحتـه تمـزق الافاق.. والرائـد مصطفـى.. صـاحب الضحكـة المجلجلـة والابتسـامة الدائمة.. أتعلمين لماذا ينادونه بصقر الصقور؟ لأنه حقا كان كـالصقر الصحراوى.. مقتحم.. جرىء.. قوته فى قلبه ارادته تفـوق كـل حـد.. كان يشق عنان السماء بطائرته ثم مـا يلبـث أن ينقـض علـى الموقـع ليدكه دكا.. أجل ذلك هو الرائد مصطفى الذى سمعتك يومـا تمزحيـن معه وتخبريه بأنه يصلح أن يكون ممثلا كوميديا.. أرأيت لماذا أشـعر بالتضاؤل أمامهم، وهناك كثيرون غيرهم.

كـان مسترسـلا فـى حديثـه.. فخـورا بذكرياتـه.. قويـا فـى اصراره.. شريفا فى امانيه وحرا فى مشاعره.

احست بنفسها تبتعد كثيرا عن واقعهـا.. لتعـود إلـى ذكرياتهـا الجوفاء وتلتقى اعماقها برغبة قوية لمقارانات غير عادلة.

.. يـاألهى.. أيـن هـذا كلـه أمـام تافـه مثـل صدقـى عبـد الوهاب..ذلك المخمور الذى لم يخجل قـط مـن ضعفـه أمـام نزواتـه.. وانغماسه فى أوحال الليل.. وغيره من ارباب الرزيلة وحياة الزيف.

كيف يستنشقون نفس الهواء الذى يدخل صدر هؤلاء الابطال.

أجفلـت لحظـة.. تسلل الـى خاطرهـا احداث ليـالى الحـرب.. وكيف أنها كانت فى تلك الفترة تتنقل من حفلة الى اخرى.

تذكرت الـرؤوس المترنحـة والتأوهـات الصاخبـة..و.. قهرتهـا المقارنة.. شعرت بالتضاؤل والمذلة أمام ما كانت عليه هـى ورفاقهـا المـاجنين فـى الوقت الـذى كـانت هنـاك نفــوس طــاهرة.. وصــدور نقيه..تمزق أخاديد الجبال بأظافرها.. وتستقبل النـيران بوجوهها مـن اجل كرامتهم.. وحريتهم.. و..

انتبهت على طرقة خفيفة بالباب.. توقف عندها المقـدم محمـود الذى كان لا يزال مستمتعا بذكرياته.. ثم قال:

– ادخل..

فوجئت بالرائد مصطفى الذى توجه اليها مدعيا الثورة ثم قـال بلهجة امره:

– لا تتحدثـى مـع هـذا الانسـان مـرة ثانيـة.. انـه بـلا قلـب ولا رحمة..

ابتسمت وفاء.. كأنها اعتادت على ممازحاته العديـدة.. ولكنهـا سرعان ما وجمت عندما استطرد الرائد مصطفى.

– أنا لا امزح أنه يتصور ان الاخرين بـلا مشـاعر.. يتصـور نفسه على حق وهو ابعد ما يكون.. أتعلمى ماذا حدث اليوم..

ولكنهـا فوجئت بـالمقدم محمـود يصيـح بـه وقـد تجهـم وجهــه فجأة..



– مصطفى.. أرجوك لا تعبث بمثل تلك الامور.. ثم لا داعـى لان تشغلها بأشياء هى فى غنى عنها.

وكأن الرائد مصطفى قد استحسن الفرصـة.. فأجـاب بـأصرار وهو يرمقها بنظرة خاطفة.

–لا.. لابد أن تعلم وفاء بكل شيء.. حتى تعرفك على حقيقتك.

ثم اقترب منه .. وأخذ يلوح بيديه بحركات مسرحية وهو يردد بصوت أجش..

– يامعزب القلوب.. يا مخيب الامال.

لم تستطع وفاء ان تكتم ضحكتها أمام حركاته الخفيفة.

والتفتت اليه قائلة من بين ضحكتها.

– ماذا فى الامر.. اخبرنى فأنا قلقة فعلا.

وبدا كأنه كان يرقب تساؤلها.. فأستدار نحوها بمقعده بسـرعة كبيرة.. وأجاب..

– تصورى أنه للمرة الثالثة يحبط محاولات خطيبته لكى يعـود اليها.. لقد جاءته باكية صباح اليوم.

قاطعه نانفعال..

– لم تعد خطيبتى..

لم يلتفت اليه واسترسل موجها حديثه الى وفاء.

-هو الذى ابتغى ذلك منذ اصابته.. حاولت معه المستحيل بالرغم من شدة حبه لها ولكنه كان دائما قاسيا عليها.. وعلى نفسه..لقد مزقت قلبى اليوم وهى تنبئنى بفشل محاولتها الجديدة.

صمتت وفاء برهة وهى تملأ عيناها بوجه المقدم محمود.. الذى اخفى عينيه عنها.. ثم تساءلت .. بهدوء.

- لماذا.

استدار برأسه نحوها.. وزاغ ببصره قليلا قبل قبل أن يجيب فى حزن كبير.

- كان يجب ان أفعل ذلك .. لا أريد أن أكون عقبة أمام حياتها.. فأنا لا أدرى متى..

قاطعته برفق..

- لكنها قسوة.

- انى احبها.. ولكن.. على ان اضحى.

نهضت من مكانها.. واقتربت منه.. ثم قالت بنبرة هادئة.

-الحب ان تضحى من أجلها.. ولكن ليس بها.

وهنا أطلق الرائد مصطفى صيحة عالية وهو يصفق بكلتا

يديه.. اعجابا بكلماتها..

- ذلك هو منطق الحب الحقيقى.

اسقط المقدم محمود نظرته الى الارض .. وقد اكتست اساريره بمظاهر الالم وهو يجيب كالهمس.

- من حقها ان امنحها الفرصة.

لاحقته باصرار.

- لكنها رفضتها.. فأنت عندها أعظم وأغلى من كل فرص الدنيا.

اندفع بمقعده مستديرا.. واطلق نظرته من خلال النافذة القريبة.. قائلا بنبرة مخنوقة.

- اخشى ان احطمها بذلك الانتظار.

تبعته متفاءلة.. ثم همست من وراء ظهره وهى تضع كفها على كتفه.

- لحظة صادقة خير من الف عمر كاذب.

سكنت لحظة.. ترقب اعماقها.. ادركت أنها تردد كلمات وحيد فهمى دون ان تدرى.. احست بنبضاتها تتراقص شوقا.. ثم انتبهت لهدوئها..وسارعت مسترسلة.

- محمود لا تعاند قلبك .. وأعلم أنك سوف تحطمها بتصرفك

هذا .. خاصة إنها تحبك.

تداخل الرائد مصطفى مرة أخرى .. متحمسا

- تحبه .. أقسم أنها تحبه.

- لا ..

صرخ محمود بقوة، وهو يخفى وجهه بيديه كأنه يخفى نفسه من أمام حقيقة لا يقوى على مقاومتها .. ثم تمالك مستطردا بهدوء..

- لا تظلموها معى.. ودعوها لمستقبلها السعيد.. فأنا.. أنا لا أعرف ماذا يخبىء لى قدرى.

رددت وهى تتأهب للانصراف.

- الشمس تشرق لمن ينتظرها.. يا محمود .. وعلى كل حال أرجو أن تغفر لى تطفلى على مشاعرك.

واستدارت تجاه الباب .. وما كادت تتجاوز الرائد مصطفى حتى ألتفت محمود اليها وفى عينيه نظرة نداء.. حاول أن يستوقفها بنبرة مختنقة.. ولكنها لم تستجب.. فأرتفع صوته ملاحقا.

وقفت وهى تضع يدها على مقبض الباب .. ثم ادارت رأسها اليه وسكنت ترقبه.. فهمس.

- أرجو ألا يطول غيابك عنا.

أو مات برأسها مبتسمة.. ثم توارت وراء الباب منصرفة.

وفى الطريق اكتشفت وفاء انها لم تحاور الا نفسها .. ولم تقاوم الا من اجلها.. كان احساسها غامضا.. لم تستطع فى حينها أن تتبينه ان كان يدينها أم ينصفها .. أحست بالغبطة تزهو وتخبو من خلال شرايين الاختناق فى صدرها.

أين هو وسط هؤلاء.

أنقلبت عيناها إلى أعماقها لتكشف فجأة حقيقة حجمها..

وكأن حديث المقدم محمود سالم ما كان ألا صدى لانات تشرنقت فى باطن ذكرياتها الاليمة.

شعرت بشىء ما يتمطى فى تكاسل بصدرها.. احست به ينفض عن نفسه تراكمات سنوات طويلة.. وهزيلة.. وأنه بدأ فى استعادة يقظته.. ورأها فجأة .. كما رأت نفسها دون أن تسعى لذلك.

وبالرغم من رهبتها أمام تلك الصحوة المفاجأة التى بادرها بها ذلك الاحساس.. وبالرغم من ادراكها بأنه سوف ينتقم لنفسه منها .. وبأنه قد رصد حصيلة جديدة من ألوان العذاب .. بالرغم من كل ذلك.. استقبلت يقظة ضميرها راضية وقانعة .. مهما كان الثمن استوقفتها اشارة المرور الضوئية.

وجدت نفسها تدقق النظر فى وجوه قائدى السيارات.. وتراقب المارة من حولها تصورت كل منهم له قصة كفاح عظيمة.. تختفى

وراء حبات العرق التى تتصبب من جباههم وراء العيون القلقة تحت قرص الشمس.. وراء الحديث الخافت الذى جمع بين اثنين فى سيارة.. وراء البشرة السمراء.. والابتسامة الباهتة.. وراء الصيحات المنفعلة.. والقهقهات المصطنعة.

شعرت برغبة قوية فى ان تعتذرلهم جميعا.. للوجوه الغريبة.. ولابطال الوفاء.. للمقدم سعيد.. ومحمود.. والرائد مصطفى .. لكل اصابة وقطرة دماء.. لضميرها الذى قبع طويلا مهموما.. غائبا.. ان تعتذر لليل بلا قمر.. ولا عماقها التى ظلت مقهورة فى جوف بركان الحقد الاسود.. لايام عمرها التى القت بها فى دوامات الضياع.. للانتماء الذى دأبت على خنقه كلما حاول أن ينبض.. ان تعتذر لاسرتها.. وللمجتمع بأكمله.. للحب.. و .. لوحيد فهمى.

كان الطريق طويلا حتى وصلت إلى منزلها .. وما كادت تنتهى من كلماتها المعتادة والعابرة دخلت غرفتها حتى وجدت نفسها مرة ثالثة أمام اصرار عنيد لاتخاذ قرار.

تابعت اصرار نضجه فى صدرها يوما بعد يوم .. وارتاحت لحكم ضميرها الجريح.. فكان قراراها بالتنازل عن قيمة شقتها وسيارتها للوفاء والأمل.

احست بأنها توجت سرها النقى التى سعدت بالاحتفاظ به لنفسها .. توجته بالفخر والرضى.. كانت تستحث الأيام لكى تمشى

مع استكمال اجراءات البيع.. وكذلك اجراءات المساهمة فاستجابت لها لتتمحها فى النهاية أعظم لحظة فى حياة كل انسان سلب الضياع ذاته.

تباطأت قليلا وهى تتجاوز بوابة مدينة الوفاء والأمل بعد أن أنتهت من الاجراءات الخاصة بقرارها.. شعرت بإستاعدت كيانها الذى فقد خلال سنوات العذاب. بنشوة عظيمة.. وقفت تشير إلى سيارة أجرة.

– تاكسى .. شبرا من فضلك

-٨-

كان عصرا بهيجا.. كل شىء فى المنزل يكاد يعبر عن فرحته الأم تروح وتغدو بين الحجرات وقد بدت نشطه فى حيوية ابنة العشرين .. ابتسامتها لا تفارق شفتيها. وهى ما تكاد تبدأ فى عمل حتى تتركه لتشغل بأخر.. راضية مبتهجة.

والأب يقف أمام المرأة يتأكد من ربطة عنقه.. ومن ملابسة.. والفرحة تملأ عينيه.

بينما توخى الأخ جانبا وقبع منهمكا فى تسجيل اسماء المدعوين على بطاقات الدعوة بمعاونة الشقيقة الكبرى التى وقفت تسترجع فى ذاكرتها كل معارفهم وأقاربهم.. وهو ينمق خطة فى نشوة كبيرة.

فى الوقت الذى استكانت فيه سامية إلى يد وفاء وهى تمشط لها شعرها .. وتخضعه لمحاولات عديدة فى اشكاله إلى أقرب صورة لابراز جمالها .. فلقد تحددت خطوبة سامية إلى أحد أبناء منطقتهم المهندس سامح فى الأسبوع القادم.

لم يكن يوما عاديا بالنسبة لهم جميعا.. ولم تنحصر فرحتهم بخطوبتها بقدر ارتياحهم لوجود وفاء بينهم.. فكان تصرفها الاخير بقرارها النبيل تجاه مدينة الوفاء، قد كشف عما كانت تعانيه اسرتها من ضغوط نفسيه تجاه تصرفاتها السابقة.



كانت وفاء تدرك جيدا أن والدها قد اجتر في صدره احساسا بالاسى وهو يحاول أن يقنع نفسه بان ممتلكاتها هى حصيلة عملها بالخارج..ولهذا بدت فرحته تفوق العادة فى مثل تلك المناسبات.. كان سعيدا بها.

لم تعد تشعر بمرارة الغربة فى صدرها.. احست بنبض الانتماء يعود بها الى حيث كانت ترغب.. احسته نداء الدفء والحنان، بعد سنين طويلة عاشت خلالها تئن من بشاعة الوحدة ومخالب الحرمان. لم تعد طريدة النفس ولا شريدة الفكر.

- ما رأيك فى سامح ياوفاء..

كانت تدرك ان شقيقتها ترغب فى الارتباط به.. بل ربما يكونا قد اتفقا على ذلك فعلا.. وتدرك أن رأيها لن يؤثر على حقيقة العلاقة بينهما..ولكن.. كانت محاولة إشراكها فى الرأى كافية لان تؤكد طبيعة التحول الذى طرأ على مشاعرهم تجاهها.. وبأنه ايذانا بقبر صفحات الماضى.. وتناسى الذكريات التى تحمل فى طياتها احداث مزقت خلالها روابط الانتماء بينهم.. وبأنه تأكيد جديد على ان وفاء قد عادت فعلا.. حتى بالنسبة لنفسها.

من أجل هذا كانت سعيدة.. راضية بعودتها اليهم.. والى نفسها.. راضية عن تصرفها باقتناع.. كانت اكثرهم ابتهاجا.. وأقربهم احساسا بالفرحة.. فها هى شقيقتها التى صارحتها يوما بأنها

لا ترغب في وجودها بينهم.. وبأنها تسببت فى شقائها الى الابد.. ها هى اليوم تستكين الى صدرها فى حنان.. مستسلمة لاصابعا وهى ترتب لها شعرها.. وتداعبها بين اللحظة والاخرى بكلمات رقيقة لا تتجاوز عما يمكن ان يحدث بين الشقيقة الصغرى تجاه الكبرى.

كانت تختلس النظرات الى ابيها كأنها تستمتع باساريره المبتهجة وهو يمازح والدتها قائلا.

–ستصبحين جدة عما قريب.. عليك ان تتأهبى لاستقبال بوادر الشيخوخة.

ثم ينطلق ضاحكا وهو يلتفت الى وفاء مستطردا.

– ليتك تؤكدين هذه الحقيقة يا ابنتى.. ونحتفل بك أنت أيضا قريبا مع شقيقتك الاخرى.

انتبهت على صوت شقيقها وهو يقطع عليها تفكيرها قائلا.

– كتبت بطاقة باسم هدى يا وفاء.. الديك أحد غيرها تريدين دعوته.

قفزت الى مخيلتها صورة الرائد مصطفى وهو يشيع البهجة بالضحكات من حوله.. والمقدم سعيد الفنان الهادىء الذى امتلأت الاركان بتماثيله الرائعة. والمقدم سالم.. وغيرهم.

ترددت برهة قبل أن تجيب عليه.. ثم التفتت اليه بنظرة زائغة واجابته.

-لا..

ثم نهضت من مكانها فجأة كأنها تذكرت شيئا قد غفلته اثناء فرحتها.. واتجهت الى التليفون.. وطلبت المكتبة واخبرتها بانها لن تستطع الحضور اليها اليوم لارتباطها بموعد هام.. ولكنها فوجئت بها تتساءل بضحكة ماكرة.

-اهو المقدم محمود.. اليس كذلك.

قاطعتها.. بحزم.

- ساراك صباحا ياهدى.. اردت فقط ان ابلغك.

وانهت المكالمة.

وما كادت هدى تضع السماعة حتى ثبتت فى مكانها دون حراك حيث ظهر امامها انسان.. تذكرته فورا.

ورددت بصوت مسموع دون تردد.

- استاذ وحيد.. ما أعظم هذه المفاجأة.

كان وحيد فهمى كما هو.. هادئا فى خطواته.. انيقا فى ملبسه تسبقه نظراته الحائرة.. وخصلات شعره الفضية.. واساريره الغامضة التى تمنحه قدرا كبير من الوقار..

تقدم نحوها بثبات غير مكترث لانفعالها لسبب لا يدريه ثم قال بنبرته الدافئة..

- مساء الخير..

تمالكت هدى من دهشتها واسرعت من وراء الفاترينة الزجاجية واقتربت منه مرددة.

-لقد انقطعت فترة طويلة عنا.. اقصد عن زيارة المكتبة.. فلقد عودتنا بزيارتك المنتظمة منذ سنوات طويلة.

ابتسم ابتسامة مضطربة.. واجاب باقتضاب.

كنت مسافر فى رحلة بعيدة..

ثم واصل متابعته للكتب متجنبا الحديث معها.. كأنه يخشى ان تكون قد ادركت السبب الحقيقى لعودته أو أنها قد تكشف عن احساسه الغامض.. ورغبته العنيفة التى دفعت به لان يعود الى المكتبة عساه ان يجد ما يهدأ من توتره..

أو يجد ضالته المنشودة.

تناول احد الكتب وما كاد يستفسر عن قيمته حتى امسك عن سؤاله عندما دق رنين التليفون وهرعت اليه هدى.. ثم انشغلت عنه برهة فى حديث خاطف انهته بكلماتها قائلة.

- لا .. وفاء لم تحضر.. ولكنى على ما أعتقد أنها ستراك الليلة.. لانها اعتذرت منذ قليل عن قدومها.

ووضعت السماعة لتلتفت اليه قائلة بملامح مبتهجة.



- اهنئك على ديوانك الجديد.. الحقيقة ياستاذ وحيد احسست من خلال ابياته بالصدق الحقيقى.

قال بتأدب.

- اشكرك..

ثم اشار للكتاب الذى بيده مستطردا.

- اريد هذا الكتاب.

وقبل ان تواصل كلماتها اليه.. انتبهت الى دخول أحد الاشخاص.. وهو يحمل مجموعة من اللفائف.. كانت واضحة بأنها شحنات جديدة من الكتب المطلوبة..

وبادرها الرجل قائلا.

- حضرتك السيدة وفاء عبد الحميد السعدى.

- لا .. ولكن ..

سارع الرجل قائلا.

- اليست هذه مكتبة المنار الحديثة.

- أجل هى.. وأنا المسئولة هنا.. يبدو أنك أتيت بالطلبية التى طلبتها مؤخرا. تخلص الرجل من حمله ووضعه على المائدة وهو يردد لاهثا.

- اجل.. تلك هى الطلبية.. ولو سمحت سجلى امضاءك هنا على هذا الكشف. ومد اليها بورقة.. ونفذت رغبته بالتوقيع عليها ثم تابعت انصرافه بنظرة مستاءة.. لتسببه فى قطع الحديث بينها وبين وحيد فهمى الذى سكن مشدوها.. متعجبا.. لذكر اسم وفاء امامه ولم يستطيع ان يخفى دهشته عندما سارع مستفسرا بمجرد انصراف الرجل.

هل قال وفاء عبد الحميد السعدى.

رمقته بنظرة واثقه.. ثم اجابت.

- اجل.. فهى صاحبة المكتبة.

ازدرد ريقه باضطراب واضح.. مندفعا فى تساؤله.

- الست أنت.

فقاطعته بزهو مصحوب بخجل كأنها تصورت أنه يتزيد معلومات عنها.. تخصها هى وحدها.. أو أنها استطاعت ان تلفت نظره اليها.. بعد كثرة كلمات الاطراء والتلميحات وقالت بصوت خفيض.

- لا.. ولكنها صديقتى.. وشاءت الظروف أن أعمل تحت امرتها.

لاحقها بلا تكلف..

– اتذكرين منذ زيارتى الاخيرة لمكتبتكم.. كانت تقف معك هنا فتاة تدعى وفاء.. اليست هى..

قلبت هدى شفتيها ببلاهة غير مصطنعة ثم اجـابت وهـى تتجـه الى مكتبها قائلة.

– لست متذكرة. ولكن سأريك صورتها لعلك تكون قد رأيتهـا فى احدى زياراتك.

وتنـاولت صـورة وفـاء مـن درج مكتبهـا.. ثــم تقدمـت نحـوه وناولته اياها.

ومـا أن سقطت عينـاه علـى الصـورة حتـى سـرت فـى جسـده قشعريرة.. وأعاد اليها الصورة بارتباك كبير.. وقد خانته قدرته علـى الاحتفاظ باتزانه حيث استدار دون أن يدرك أنه لم يدفـع ثمـن الكتـاب الذى اختاره من وسط مجموعة الكتب الأخرى.

تدارك تصرفه الغريب بمجرد ان خطى بضع خطوات.. ولكنه لم يستطع أن يتراجع.. حيث استيقظت فـى اعماقـه عيـون الذكريـات فجأة لتكشف عن حقيقة طالما حاول أن يبعدها عن فكره.. ولكنه اليوم لم يجد بدا من أن يستسلم لهـا دون ان يقاومهـا بفكـرة أو بهروبـه مـن أحساس يقتخمه بين الاونة والاخرى..

اتحبها..

ردد فى حذر وهو يواصل خطواته الهائمة.

ثم استرسل مع نفسه.. كأنه يحاول أن يتمسك هذه المرة بذلك الخاطر الجرىء.. تراها لازالت تذكرنى..

هل قرأت اهدائى لها ، فى ديوانى الاخير..

اتكون قد عادت إلى طريق الضياع.. لا .. ليتها لا تعود.

ترى من يكون هذا الذى سأل عنها فى التليفون..

يا الهى .. أهو الحب..

ثم توارى وسط الزحام.. ليذوب.. وتذوب صدى مشاعره وتساؤلاته فى جوف توتره وحيرته.

أما هدى فلقد أقلقها تصرفه المثير.. وانصرافه غير الطبيعى بمجرد أن رأى صورة وفاء.. وقد تجاذبتها هى الأخرى صراعات الظنون.. وبالرغم من فشلها فى التوصل إلى نتيجة تطفىء ظمأ حيرتها إلا أنها أثرت أن تخفى عن وفاء زيارة وحيد فهمى للمكتبة فى المرة الأولى.. وكذلك فى الثانية عندما عاد معتذرا عن غفوته فى دفع قيمة الكتاب الذى اشتراه.. بل تعمدت أن تثير موضوع علاقة وفاء بالرجل الدائم السؤال عنها .. وهى تعنى المقدم محمود.. على أمل أن تستفيد من ذلك لصالحها.. و .. وتحققت توقعاتها عندما بدت أسارير الاهتمام ترتسم على وجهه وهو يسألها بلا مراوغة أو حيطة.

- خطيبها.

أبتسمت يومها بدهاء وهى تجيبه.

- لا أعرف .. كل ما أدركه أن اسمه محمود سالم .

تعمدت أن تنشغل عنه برهة ثم اردفت دون أن تلتفت إليه.

- ويبدو انهما على علاقة وثيقة.. فهو دائما على اتصال بها.

ففاجأها بما لم تكن تضعه فى حسبانها.. حين بادرها قائلا قبل انصرافه.

- أرجو أن تبلغيها اننى سألت عنها.

من أجل هذا لم تجد هدى مفرا من أن تخبر وفاء بالفعل.. وحاولت أن تجعل الأمر مجرد نبأ عاديا عندما قطعت عليها الحديث عن شئون المكتبة.. وفاجأتها قائلة.. وهى تحاصرها بنظرة مترقبة.. وقلقة فى نفس الوقت.

- اتذكرين الشاعر وحيد فهمى الذى حدثتك عنه .. لقد عاد من سفره.. وجاء إلى المكتبة منذ يومين.

وما كانت تنتهى من كلماتها حتى انتفضت وفاء من مكانها دون أن تدرى كأن الأرض انشقت لتلفظ السنة لهب من حولها.. أحست بقلبها يصرخ بنبضات مضطربة والدماء تندفع إلى رأسها بعنف.. مما استلفت نظر هدى لذلك التغير الذى طرأ فجأة عليها بمجرد ذكر اسمه فأقتربت منها بخطوات أكثر ترددا من تصوراتها وهمست إليها قائلة.

- هل .. أقصد أنت تعرفينه؟

انتبهت وفاء على سؤالها المباشر.. وكم كانت محاولتها للتمالك قاسية.. ذادها تعلثما .. وارتباكا.

زاغت بعينيها فى كل اتجاه.. كأنها تبحث عن اجابة وسط الصمت الذى بدا موحشا فى نفسها.. ثم ما كادت أن تهمس قائلة.

- فى الحقيقة .. أنا.

حتى توقفت على دخول فتاة رقيقة إلى المكتبة.. وتقدمت تجاه هدى مباشرة.. والحمرة تغش وجهها الرقيق وتحيط شفتيها المبتسمة فى رقة .. وتساءلت.

- أريد الانسة وفاء.

فأشاحت هدى بوجهها عنها تجاه وفاء دون أن تتبت بكلمة واحدة.. فأفتربت منها مبتهجة.. كأنها تشكرها على قدومها فى الوقت المناسب.. لتخلصها من موقفها الحرج.. ثم بادرتها بترحاب.

- أنا وفاء .. هل من خدمة.

اتسعت ابتسامة الفتاة وهى تدنو منها بتودد كبير.

- أنا سماح .. خطيبة المقدم محمود سالم.

وقبل أن تفيق وفاء من دهشتها .. لاحقتها الأخرى قائلة.

– جئت أعبر لك عن تقديرى.. وأمتنانى لموقفك العظيم تجاهى بالرغم من أنك لم ترينى من قبل.. لقد أبلغنى محمود وكذلك الرائد مصطفى عما بدر منك تجاه مشكلتى مع محمود التى كادت أن تقضى على حبنا.. بسبب بعض الأوهام التى لا أساس لها من الصحة.

قاطعتها وفاء بحماس شديد.

– أهلا.. أهلا بك.. فى الحقيقة أنا لا أعرف كيف أعبر لك عن سعادتى الآن.. وذلك لا يمنع أننى كنت متأكدة من حب محمود الصادق لك.

سكنت هدى تتابع ما يحدث أمامها فى ذهول بعينين شاردتين.. كانت المفاجأة قد الجمت لسانها وشلت تصرفها.. بينما أردفت وفاء قائلة.

– تفضلى نجلس سويا.. فأنا متلهفة لسماع ما حدث.

امسكت الفتاة بيدها برفق وهى تقاطعها والسعادة تطوف بعينيها.. ثم قالت.

– لا .. لقد وعدت محمود أن أحضر اليك قبل ذهابى إليه لكى نذهب معا.

كانت وفاء فى هذه اللحظة فى قمة سعادتها .. لم تكن تبالغ أمام سماح فى التعبير عن ابتهاجها..



كأنها رأت ما يختلج به صدرها وقد تجسد أمام عينيها.. أوأنها تعايش انتصارا غاليا لأمل حائر في قلبها.

لهذا لم تمانع في تحقيق رغبة سماح وموافقتها على الفور.

جلست بجانبها في السيارة.. حاولت أن تتابع كلماتها وهي تسترسل في الحديث عن المقدم محمود.. ولكنها لم تستطع.

كان صدى كلمات هدى الأخير أعنف بكثير من صوت خطيبة محمود .. تسلل إلى أعماقها أحساس بالخجل.. لأنها استباحت لمشاعرها أن تتعايش مع أمل مفقود.. أمل ماض بعيد.. ولكنه بلا مستقبل.

.. هل ينسى؟

هل يغفر.؟

هل يمكن أن يموت ماضيها في قلبه.

الحب فوق المستحيل .. ولكن .. هل يمكن .. أن ينبض فوق انقاض ماض مظلم ..

حتى ولو كان الماضي ظالما.

قد يكون الحب أقوى من الخوف.. أقوى من الوحدة والفراغ.. لا يأبه للتحديات ولا يرضخ للقناعة.. وقد يكون عنيدا.. عنيفا في سبيل تحقيق امانيه حتى ولو كان طريقه طريقا للعذاب والآلم.

ولكن. ماذا يكون مصيره أمام الواقع.

كادت أن تسمع صدى أعماقها وهى تحدثها.

تراه يذكرنى.

وكان يذكرها .. لم تغب عن خاطره لحظة.. كانت رفيقة خياله فى غربته.. وانيسة كيانه فى وحدته.. كان يذكر كل التفاته.. وهمسة.. وكل لحظات تمردها .. وبهجتها يذكرها فى لحظة ندمها.. وكذلك دموعها الحزينة التى أنتحرت أمامه فى الماضى.

من أجل هذا لم يستطع مقاومة أصرار مشاعره لكى يراها.. بل لم يرغب فى مقاومتها.

ولم تكن أمامه وسيلة غير أن يعود بحجة تسديد قيمة الكتاب الذى أخذه فى المرة الأخيرة.

وعاد .. و .. ندم على عودته.

حيث تلقته هدى بكل حرصها على ألا تفقده مرة أخرى.. حاولت أن تستميله فشقت قلبه بجرح مباغت.. تعددت تلميحاتها بالمودة والأعجاب وهى لا تدرى بأنها تقبر فى نفسه أمل عزيز فى الفترة الأخيرة.. ولكنها لم تكن تدرى.

تعمدت أن تثير ظنونه تجاه وفاء عندما أدركت بحاسة المرأة أنه يستدرجها للحديث عنها .. أخبرته بأمر العلاقة التى تربطها بشاب

يدعى محمود سالم قد دأب على الأستفسار عنها.. وأشارت باهتمام وفاء الكبير به.

أخفت له الألم وسط كلمات رقيقة .. غير واضحة.

– ما أجمل الحب.. يبدو انهما يعيشان قصة حب عنيفة.. الحقيقية لست متأكدة.. ولكن كل الدلائل تؤكد ذلك.

ازدادت دهشتها عندما وجدته يحوم بحديثه حول المزيد من المعلومات عن وفاء.. فكلما ابتعدت به إلى مضمون آخر.. أزداد اصرارا للاستفسار عن شئون وفاء حتى الخاصة بها. وقفت تراقب توتره وهو يتلكأ فى تصفح بعض الكتب التى اختارها هذه المرة.. وراحت تتساءل فى صمت .

أى سر يجمع بينكما.. لابد وأن كلاكما يعرف الآخر حق المعرفة.. لقد أخفت وفاء عنى كل شىء.. ليتنى كنت واهمة فى تصوراتى.. ولكن ذلك ليس وهما.. فاهتمامه بها يذوب فى حديثه.. ولهفته إلى رؤياها تحيطه بنظرات عنيفة.. أنه شىء يفوق المعرفة.. يفوق الفضول قد يكون حديثا عابرا .. أم مصادفة خاطفة.. قد يكون حبا. أعادت الكلمة الأخيرة فى نفسها.. مرددة .. حبا. ثم التفتت إليه باندفاع.

– أستاذ وحيد .. يبدو أنك تعرف وفاء.. أقصد أن بينكما علاقة صداقة.

قاطعها بارتباك.

- أنا .. علاقة .. فى الحقيقة أنا..

وتلعثم برهة .. ثم رفع الكتيبات إلى صدره .. وتساءل فى تجاهل.

كم قيمتها .. من فضلك.

أدركت هدى أنها ليست فى حاجة للاستفسار عن شىءفتصرفه تجاه سؤالها كان أفضل ما يمكن أن تتبين منها أشياء كثيرة.. وأهمها أن تكف عن محاولتها. ذكرت له قيمة الكتب.. فاقرضها أياها.. وأنصرف.

وفى اليوم التالى جلس وحيد فهمى وراء مكتبة وقد بدا الارهاق واضحا فى عينيه.. كانت ليلته قاسية.. كأنه أكتشف فجأة أنه كان ضحية للوهم ليال طويلة.. وأنه كان سخرية لشيطان فكرة. تناول قلمه.. أخذ يقلبه بين أصابعه كأنه يطلب منه المغفرة ويستجديه ليستجب إلى مشاعره المضطربة.. ويفرغها فوق سطور الحرمان .. ولكنه لم يستجب.

ألقى به.. ونهض بتثاقل يطل من النافذة باحثا عن أمر يستطع من خلاله أن ينقذ نفسه من دوامات الفكر التى بدأت تزحف إلى أعماقه.. قرر أن ينزل إلى الطريق لعله يذوب وسط الأخرين وما كاد أن يستدير حتى تسمر فى مكانه فجأة.. كل قطرة فى دماءه قد اعتراها الغليان.

كانت هى .. وفاء.. وقفت أمامه بهدوء.. نظرتها مشتاقة.. وبسمتها حالمة.. ترددت لحظة قبل أن تتقدم نحوه ثم همست..

- حمدا لله على سلامتك.

تسربت همسة من بين شفتيه بلا مقاومة.

- أنت.

تقدمت خطوة أخرى.

- أجل أنا .. ترى لازلت تذكرنى

اتجه إلى مكتبه .. ثم تراخى عليه وهو يجاهد بكل حواسه لكى يتمالك.. ويخفى عنها ما يجيش بصدره من انفعالات.

لاحقته قائلة فى ارتباك.

- تسمح لى أن أجلس.

أومأ برأسه موافقا.. وفى عينيه نظرة شاردة.

ومضت لحظات متوترة صامتة.. استطاع خلالها أن يستجمع ارادته.. واتزانه.. وسرعان ما تبدلت أسارير وجهه المرتبكة .. ورفع رأسه إليها قائلا بهدوء.

- أرجو أن تكون الأمور قد سارت حسب رغباتك.

اهتزت لكلماته التى لم تجد لها مبررا .. ثم تجاوزتها .. وتساءلت.



– كيف حالك أنت .. لقد طالت غيبتك.

ابتسم ابتسامة ساخرة قبل أن يجيب.

– عجيب أنك اكتشفت أننى كنت غائبا.. كيف سمح وقتك بذلك.

أحست بخيبة الأمل تتسلل إلى كيانها .. فكل تصوراتها انهارت فجأة أمام الاستقبال الفاتر.

رفعت عيناها إليه كأنها تحاول أن تتأكد من أنه يعنى ما يقول.. وأنه حقا غير مكترث لوجودها.. أو كأنها ترغب فى أن تنقل إليه كلمات حديثها الصامت مع نفسها .. لعلها تفيق من صدمتها.

.. انتظرتك طويلا.. جعلتنى أغرس فى قلبى نبتة وهم وظللت أرويها بفكرى..ومشاعرى.. وحان اليوم لادرك أننى كنت أعيش فى دنيا السراب.. لاشىء غير السراب.

أنتبهت على صوته.. قائلا.

– أراك لم تتغيرى كثيرا.

حاولت أن تبتسم.. ولكنها لم تستطع.

.. سأكون أكثر منك صراحة مع نفسى.. أن ما فى قلبى تجاهك أعظم بكثير ممن يحتمل المراوغة.. والتلاعب بالألفاظ.. سأحاول حتى ولو كانت تلك المجازفة غالية الثمن على نفس.. وكرامتى..

تظاهرت بأنها تذكرت شيئا فجأة.. ثم قالت.

– بالمناسبة .. قرأت ديوانك.. وفاء.. في الحقيقة أنا .. ولكنها فرجئت به ينتفض من فوق مقعده.. وقد بدا غير مسيطراً على مشاعره.. وقاطعها.

– لم أقصدك أنت على كل حال.

نهضت والارتباك يشمل كيانها.. وهمست في حسرة.

– يبدو انني اضعت عليك وقتا ثمينا.. هل تسمح لي بالانصراف.

– ابدا.. لقد تعلمت واستفدت منك الكثير.. تعلمت بألا اسمح لخيالي الساذج أن يلحق بي مرة أخرى في دنيا الوهم.

ثم أتجه نحوها بخطوات ثابتة.. وحملق في عينيها.. وأردف.

– دعيني أصارحك بحقيقة.. المفروض أن أخفيها.. ولكني لن أخفيها عنك.. أنت بالذات لابد أن تعرفيها.. أتذكرين آخر حديث بيننا.. تصورت أن كلماتي معك كانت بمثابة عهد للصدق.. تصورتها بداية النهاية.. في عالم الظلام.. والحقد.. ولكني اكتشفت بأنني كنت ابلها.. ساذجا.

– أنا لا أفهمك.. ثم من منا يقول هذا.. أنت أم أنا.. أنت الذي أوهمتني بحلم جميل .. وأمل كان أكيد في تصوراتي.. ثم القيت بي

فجأة على أرض الواقع.. أم أنا التى انتظرتك طويلا.. وعاشت مع كل همساتك.. وذكرياتك.

وهنا استدار وحيد فهمى فى انكسار شديد.. وفجأة انطلق فى ضحكة مقهقهة.. ألا أنها عبرت عما يشعر به من ألم.

صمت برهة .. ثم قال فى هدوء يكظم غيظه.

– ويا ترى كان يشاركك.. ذلك الولهان محمود سالم.

اخذتها المفاجأة وهى تردد.

– محمود سالم.. كيف؟

التفت اليها صارخا.

– أجل محمود سالم.. ذلك المخدوع الجديد.. الفريسة المعتادة يا بوسى هانم .. أم أنك.

– كفى .. كفى أرجوك لا تكمل. لقد ظلمتنى.

ثم استجمعت أعصابها المتوترة.. وأشاحت بعينيها بعيدا عنه وهمست كما لو كانت تحادث انسانا آخر غيره.

– ربما يكون ذلك عقاب القدر لى.. ولكنه كان عقابا قاسيا.

ثم هرولت منصرفة من أمامه دون أن تنتظر منه تعليقا.

وحتى لو كانت انتظرت .. فلن تتلق اجابة منه.. هو أيضا

عاجزا عن التفكير حتى مع نفسه.. كانت صدمته أقوى من احتمال مشاعره.

من أجل هذا لم يستطع أن يستوقفها.. بل لم يحاول قط.. كان الجرح الذى سكن قلبه حال دون رغباته .. كل ما استطاع أن يقدم عليه هو أن يتجه إلى وراء مكتبه مرة أخرى.. ويجلس على مقعده فى انهيار تام.. ثم يدفن وجهه بين كفيه كأنه يخفى من أمام عينيه حقيقة مؤلمة يريد الهروب منها.. ولكن .. أى طريق هذا الذى سيسلكه للهروب.

فطريق قلبه ينبض بنبضات حب عظيم.. تحمل قسوة الصمت على أمل لحظة للقاء.. وطريق فكره مزدحما بصورتها..والتفاتاتها وخطواتها.. وطريق أعماقه كان يستوى على شوقها.. وحنينه لرؤياها.. كان يهوى نسيمها.

فأى طريق يتخذه لكى يهرب..؟

أما هى فلقد كان طريقها مختلفا.. كان طريق الحسرة..والندم.. طريق العذاب والألم.

وكان قرارها ببيع المكتبة مفاجأة للجميع.. لأهلها.. ولهدى.. ولكنها أصرت على ذلك بحجة أنها ستتحول إلى شىء آخر.

وكأنها بذلك القرار ستلقى بآخر أمل لديها إلى بئر النسيان أوستهرب من ماضى قلبها.. من حب اذلها.. واهانها.. من أحاسيس قد

خدعتها.. جعلتها تتعايش مع وهمها فى رحلة طويلة برفقة السراب ستهرب من حقيقة مريرة.. أنه لا يبادلها نفس الشعور.. ستقتنع بأن ذكريات ماضيها السابقة ستلاحقها أينما كانت هكذا كان حكم القدر عليها.. وهكذا آمنت.

ستهرب من ذلك الربيع الذابل الذى عصف بقلبها .. ومزق شرايين التفاؤل فى عمرها.

ستهرب من كل هذا عندما تبيع المكتبة .. أو هكذا تصورت.. ولكن الشيء الذى لم تستطع الهروب منه هو أسارير الكآبة التى أنطبعت على وجهها كأنها قد نحتت باتقان.

كأن دمعة الحزن قد قطعت عهدا على نفسها بالا تفارق جفنيها وبأن العذاب قد قال كلمته الأخيرة بأنه هو رفيق حياتها وأنيس وحدتها.

إلى أن جاء الصباح الذى تلا خطوبة شقيقتها .. وبينما هى تتابع الاجراءات المبدئية فى بيع المكتبة.. أقتربت منها هدى فى تردد متسائلة.

– وفاء.. أنت لست كعهدى بك.. ماذا حدث؟

لم تلتفت اليها وهى تجيبها.

– لا شيء.. أرجو أن تراجعى معى هذه الكشوفات.

أرخت هدى نظرتها إلى الأرض وقالت :

- وفاء.. لقد تغير حالك منذ ظهور وحيد فهمى.

قاطعتها وفاء باندفاع.

- وما دخله .. لا شيء بيني وبينه .. هو في طريق.. وأنا في..

لاحقتها هدى وهى تتقدم بخطوة.

- لا .. لا أرجوك .. لا تحاولي مراوغة مشاعرك.. ولابد أن تعلمي الحقيقة.. التى أخفيتها عنك.

وذكرت هدى كل شيء لوفاء عن زيارة وحيد فهمى الأخيرة والحديث الذى دار بينهما وعن محمود سالم.. وقصة الحب التى صورتها عن عمد حتى تتأكد من شيء راود خاطرها.

ذكرت لها كل شيء.. أهتمامه الشديد لمعرفة أخبارها.. ملامح الكآبة التى بدت على وجهه عندما سمع تلك الأنباء.

ولكنها توقفت عن الاسترسال عندما رددت وفاء قائلة.

- دمرتى قلبى .. دون أن تدرى يا هدى.

وأنصرفت خارج المكتبة .. تقطع الطريق على قدميها بدون هدى.. راحت تنتقل من اتجاه إلى آخر .. كأنها تبحث عن وسيلة يدرك من خلالها حقيقة الأمر .. أو كأنها تبحث عنه هو نفسه.



وساقتها الدوامة فى النهاية إلى مدينة الوفاء والأمل.. إلى محمود سالم.. لتجده برفقة سماح خطيبته.

وبمجرد أن ظهرت أمامهما حتى استقبلاها بلهفة كبيرة.. وبشوق صادق.. خاصة المقدم محمود الذى عاتبها لتأخرها عن زيارته طوال هذه الفترة.. بينما أنضم لهم الرائد مصطفى الذى توقف عن مزاحه فجأة متسائلا.

– ماذا بك يا وفاء .. أنت كما يبدو حزينة.

حاولت أن تشد ابتسامة على شفتيها.. ولكنها لم تفلح ثم أجابت بنبرة حائرة.

– ابدا .. لست حزينة .. لا شىء مطلقاً.

دقق الرائد مصطفى النظر إليها وهو يواصل كلماته لها.

– وفاء نحن اخوتك .. ويجب أن تذكرى لنا الحقيقة.. ماذا يحزنك إلى هذه الدرجة.. لابد أن فى الأمر شيئا خطيرا.

سانده فى ذلك أيضا المقدم محمود .. وكذلك سماح.. كل منهم كان على أمل أن يرضيها .. أن يهدأ من توترها.

أحست برغبة عنيفة فى الدفاع عن حبها.. عن كرامتها.. وأملها.. شعرت بالحاح أعماقها.. وقلبها .. لكى تسعى لاسترداد ما فقدته.. على الأقل من ذكريات جميلة فى مخيلته هو.. وحيد فهمى حبها الكبير.. المتوج بالصمت.

التفتت فجأة إلى المقدم محمود.

- ما رأيكم فى نزهة قصيرة خارج المدينة.

تحمس الجميع .. خاصة الرائد مصطفى الذى هلل معترضا.

- أبدا لن يحدث هذا.

ثم ضحك ساخرا.

- الا اذا .. دفعت أنا الحساب.

وانطلقت السيارة تحمل المقعدين فوق سطحها.. وبداخلها الأربعة وهم يتبادلون الضحكات.. بينما سكنت وفاء فى حيرة تحاول أن تجد قرارا غير الذى اتخذته.. ولكنها فى كل محاولة تصطدم بحقيقة واقعة.. بأنها لن تستطع.. وبأن عليها أن تذود عن حبها.. ولأن تقدم على المستحيل ولا أنها تضحى بحبها.. من أجله.. حتى ولو كانت التضحية كبرياؤها.. ولا تضحى بحبها.. أو به هو.

همست فى اذن سماح بلا تردد قائلة.

- سماح .. هناك انسان يهمنى أمره.. حبذا لو قدمته لكم.. فأنا بحاجة إلى ذلك.

وكانت موافقتهم أروع مثل للرابطة التى تربطهم بها.. كل منهم استشعر فى نفسه أهمية ذلك الإنسان الذى أشارت اليه دون أن يعلق على ذلك .. كانت موافقتهم بلا تردد .. وبلا استفسار .. لا شىء يهم بالنسبة لهم جميعا ألا سعادتها. كان تحمسها كبيرا وهى تصف لسماح عنوان مكتب وحيد فهمى.. وكم كانت أكثر سعادة وهى تستقل الاسانسير برفقتهم جميعا.. والزهو يملأ قلبها.. وأحساس بالأمل لاستعادة حبها أولا.. وكرامتها ثانيا.

الجمت المفاجأة لسان وحيد فهمى وهو يواجه وفاء مرة أخرى وهى تقدم له من برفقتها.

– الرائد مصطفى .. وسماح خطيبة المقدم محمود سالم. ثم التفتت اليهم تقدمه.

– الأستاذ وحيد فهمى.. الشاعر المعروف.

ثم اتجهت بعينيها تجاه المقدم محمود واستطردت.

– صاحب كل المبادىء التى ذكرتها لك يا محمود فى السابق ولم يكن محمود فى حاجة لمزيد من الايضاح.. أدرك من فوره أن هناك ما يستدعى تدخله فى سبيلها.. وبالرغم من محاولتها للتخلص من الموقف الذى وضعت نفسها فيه حيث حاولت أن تتشعب فى مواضع أخرى.. ألا أنه كان يستعذب فى صدره أحساسا ملحا بأن يقدم شيئا لها.. ففاجأها بقوله.

– أنسة وفاء ليتك تصطحبين سماح فى أمر يهمها فهى تريد أن تشترى شيئا يخصنى.

أحست وفاء بارتياح كبير.. لأنها صادفت تلك الرغبة أثناء موقفها المضطرب وافقت على الفور دون أن تلاحظ نظرة الدهشة التى ضمتها جفون ساح.. وبالرغم من ذلك تبعتها دون أن تتفوه بكلمة.

كان الوقت كافيا لكى يستدرج المقدم محمود وحيد فهمى إلى الحديث عن وفاء.. وليكتشف الحقيقة منه.. مستغلا المفاجأة التى أقتحمت لحظته بوجودهم حوله.. ثم سرد عليه كل شيء بحماس كبير.

حدثه عن موقفها النبيل تجاه مدينة الوفاء والأمل.. وعن تصرفاتها العظيمة تجاههم جميعا .. وعن مشكلته مع سماح خطيبته.. وعن

أصرارها لأن تخفى تضحياتها المادية.. وأن تخفى قصة حبها معه.

كان حديث متوتر ملتهب.. واوذداد الموقف توتراً بعودة سماح بمفردها.. بدون وفاء التى الحت عليها بالانصراف بعدما شرحت لها كل شيء.

أحست وفاء بعد ذلك.. أن لا شيء يوازى أسترداد كرامتها.. لا شيء يعادل الانتصار لصدق مشاعرها.

من أجل هذا تابعت باصرار بيع مكتبتها.. بل تعمدت أن تباشر ذلك الأمر من خلال هدى عن طريق محادثتها تليفونيا .. كان قرارها عنيدا.. حتى مع نفسها.

إلى أن فوجئت ذات مساء باتصال هدى بها تليفونيا.. وابلغتها بأن هناك مشترى للمكتبة.. وبأنها ستحاول التخلص منه.. وما أن أنتهت من حديثها حتى أصرت هى بألا تتصرف هدى قبل الحضور اليها.. فهى مصرة على التخلص من المكتبة.. مهما كان الثمن.

وهناك وجدت من لم يكن فى حسبانها .. حيث تقدم نحوها وحيد فهمى.. وتناول يدها برفق هامسا.

– سامحينى يا وفاء.. ليتك تغفرين لى ثورتى.

التفتت وفاء تجاه هدى التى بادرتها بابتسامة هادئة.. وقالت..

– صدقينى .. لقد اضطررت للكذب عليك.

رفعت عيناها إليه مرة أخرى .. وهو يستطرد.

– وفاء .. من خلالك تعايشت مع الحب الحب الحقيقى.

فألقت برأسها على صدره وهى تردد.

– وبك وجدت طريقا لخطواتى.. وأرجوك دعنى أحاول.